نزهة الفتيان فى تراجم بعض الشجعان

تاليف

العلامة المؤرخ الثقة الثبت الشيخ

محمد العربى التبانى

المدرس بمدرسة الفلاح والحرم المكى

الطبعة الثانية

سنة ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م

مطبعة المدنى

٦٨ شارع العباسية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العزيز القهار ، الباعث الرسل بالتبشير والإنذار ، المؤيِّد محمداً صلى الله عليه وسلم بالخميس الجرّار ، والبُهَمِ الأخيار ، المرسل رحمة للعالمين داعياً هادياً ، ومنذراً غازيا ، القائل «أرموا يابنى إسماعيل فإن أباكم كان رامياً» .

(وبعد) فيقول عبيد الله الفانى محمد العربى بن التبانى بن الحسين الجزائرى إن الله سبحانه لما أعز هذا الدين ونشره ، ونصر نبيّه بأبطال كرام وعزّره كان حقّا علينا أن نعرف قدرهم ، ونقتفى آثارهم ، ونشيد ذكرهم ، لما لهم علينا من فضل نصرته وتمهيده ، ورفع عماده وتشييده ، فأحببت لذلك أن أذكر فى هذه الرسالة بعض من اشتهر منهم بالبسالة ، وانتشر ذكره انتشار الغَزَالة[1] ، وأقدم بعض المشهورين فى الجاهلية بالفتك والإقدام ثم أذكر بعدهم بعض مشاهير الإسلام ناسبا كل واحد إلى قبيلته متبعا ذلك بحكايات وفوائد وسميتها (نزهة الفتيان فى تراجم بعض الشجعان) .

بعض مشاهير شجعان الجاهلية

كان فارسَ العرب قاطبة وأشجعهم فى الجاهلية ربيعةُ بن مُكَدَّم وهو من بنى فراس بن غَنْم بن مالك بن كِنانة[2] وكان يُعقر على قبره فى الجاهلية ولم يعقر على قبر أحد غيره ، قال حسان بن ثابت وقد مرّ على قبره فنفرت ناقته .

لايَبْعَدَنّ رَبيعة بْنُ مَكدَّمٍ	وسقى الغَوادى قبْرَهُ بِذَنوبِ
نفرَت قلوصى من حجارة حرّةٍ	بُنِيتْ على طلق اليدين وَهوب[3]

(١) الشمس . (٢) قتله أهبان بن غادية الخزاعى .

(٣) القلوص : من الابل الشابة ، الحرة : أرض ذات حجارة نخرة سوداء .

لاتنفرى ياناقُ منـــه فإنه   شِرِّيبُ خمر مِسْعَرٌ لحروب
لولا السِّفار وطولُ قَفرٍ مَهْمَهٍ   لتركتها تحْبُو على العُرقوبِ(١)

وكان بنو فِراس رهطه أنجدَ العرب ، الرجُل منهم يَعْدِل عشرة من غيرهم وفيهم يقول أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه لأهل الكوفة من غاز بكم فقد فاز بالسهم الأخيب أبدلكم الله بى مَن هو شرٌّ لكم وأبدلنى بكم من هو خيرٌ منكم ودِدت والله أن لى بجميعكم وأنتم مائة ألف ثلاثمائة من بنى فراس بن غنْم .

قال أبو عبيدة : خرج دُرَيْدُ بن الصِّمة فى فوارس من بنى جُشَم يريدون الغارة على بنى كِنانة حتى إذا وصلوا واديا لهم ، وجدوا رجلا فى ناحية الوادى معه ظعينة فلما نظره دُريد قال لفارس من أصحابه صِحْ به خَلِّ عن الظعينة وانْجُ بنفسك فانتهى إليه الفارس وصاح به وألحَّ عليه فألقى زمام الناقة وقال للظعينة .

سيرى على رِسلك سيرَ الآمن   سير رَدَاحٍ ذاتِ جاشٍ ساكنِ(٢)
إن التأنّى دون قِرنى شائنى   أبلِى بلائى وأخْبُرى وعاينى

ثم حمل عليه فصرعه وأخذ فرسه فأعطاه الظعينة فبعث دُرَيْد فارسا آخر لينظر ماصنع الأول فلما انتهى إليه ورأى ماصنع صاح به فتصامم عنه كأن لم يسمع فظن أنه لم يسمع فغشيه فألقى زمام الراحلة إلى الظعينة ثم أقبل إليه وهو يقول :

خَلِّ سبيل الحرّة المنيعهْ   إنك لاقٍ دونها ربيعهْ

---

(١) المهمه : المفازة البعيدة والبلد المقفر .
(٢) رداح : ثقيلة الأوراك .

فى كفه خَطِّيَّةٌ مُطيعـــهْ أَوْلا نخذها طعنــةً سريعَهْ(١)

والطعن منى فى الوغى شريعه

ثم حمل عليه فصرعه فلما أبطأ على دُرَيْد بعث فارسا لينظر ماصنعا فوجدهما صريعين ونظر إليه يقود ظعينته ويجرُّ رمحه فقال للظعينة أُقصدى نحو البيوت ثم أقبل عليه فقال:

ما ذا تريد من شَتِيمٍ عابس ألم تر الفارسَ بعــد الفارس(٢)

أرداهما عاملُ رُمْحٍ يابس

ثم حمل عليه وصرعه وانـكسر رمحه وأُرتاب دريد فظن أنهم قد أخذوا الظعينة وقتلوا الرجل فلحق دريد ربيعة وقددَنا من الحى ووجد أصحابه مقتولين ، فقال له أيها الفارس إن مثلك لايقتل ، ولا أرى معك رمحا والخيل ثائرة بأصحابك فدونك هذا الرمح فإنى منصرف إلى أصحابى ومثبِّطهم عنك فانصرف إلى أصحابه وقال إن فارس الظعينة قد حماها وقتل أصحابكم وانتزع رمحى ولامطمع لـكم فيه فانصرف القوم فقال دريد فى ذلك .

ما إن رأيت ولا سمعت بمثـله	حامى الظعينة فارسا لم يقتـــل
أرْدَى فوارس لم يكونوا نُهْزَةً	ثم استمر كأنه لم يفعل(٣)
متهللا تبــدو أسِرَّةُ وجْهِهِ	مثل الحسام جلَتْهُ كفُّ الصَّيقل(٤)
وترى الفوارس من مهابة رمحه	مثل البُغاثِ خَشِينَ وقْع الاجدَلِ(٥)
يزْجِى ظعينتَه ويسحب رمحه	متوجِّها يمناه نحو المنزل
ياليت شعرى من أبوه وأمــه	ياصاح من يك مثلَه لايجهـــل

(١) خطية : رمح مشهور بالجودة . (٢) شتيم : أسد عابس .
(٣) نهزه : قدره : (٤) الصيقل : الذى يتعهد السيوف بالشحذ والجلاء .
(٥) الأجدل : الصقر .

و يلقّب بحامى الظعينة حيا وميتا وذلك أن بنى سُلَيم غزت قومه ولم يكن فى الحىِّ غيره فقاتلهم فرموه بسهم مصيب نخشى الموت والافتضاح فى الحريم فقال للظعائن انصرفن وراء الحى فإنى شاغل عنكن العدوّ ثم وقف على ثنية وراء الظعائن وركز رمحه بالأرض واتكأ عليه بيده واعتمد بالأخرى على قربوس فرسه فمات وظنت بنو سُلَيم حياته فهابوا الإقدام عليه حتى نجا الظعن ثم لما رأوه لا يتحرك شكّوا فيه فرموا رمحه بسهم فسقط فخرّ هو عن الفرس فتحققوا موته إذ ذاك فلقب بما ذكر .

بعض شجعان قريش فى الجاهلية

وشجعان قريش فى الجاهلية بنو عبد مناف وشيخهم (أبو طالب) عم النبى صلى الله عليه وسلم فقد ظهرت شجاعته حينما اجتمعت قريش كلها على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لأبى طالب إما أن تدفعه إلينا نقتله أو نقاطعكم ونعاديكم فأبى عليهم أبو طالب ذلك فكتبوا صحيفة تتضمن ماذكر فتحمس أبو طالب وقال :

ألا أَبلِغا عَنِّى عَلَى ذَاتِ بَيْنِنا ... لُؤَيًّا وخُصًّا مِن لُؤَىٍّ بنى كعب
ألمْ تعلموا أنا وجَدْنا محمداً ... نبياً كموسى خُط فى أول الكُتُب
وأنَّ عليه فى العِبادِ محبةً ... ولا خيرَ ممن خصه الله بالحب
وأن الذى ألصقتمُ من كتابكم ... لَكُم كائِنا نحسا كراغية السَّقْب[1]

إلى أن قال :

فلسنا وربِّ البيت نُسلِم أحداً ... لِعزّاء من عضِّ الزمان ولا كَرْب

---

(١) السقب : ولد الناقة : أو ساعة يولد .

ولما تَبِنْ منا ومنكم سوالفٌ   وأيد أُتِرَّتْ بالقُسَاسِيَة الشُّهْب[(١)]
بمعترك ضَيْقٍ ترى كِسرَ القنا
به والنسور الطُّخْم يعكفن كالشَّرْب[(٢)]
كأن صهال الخيل فى حَجَرَاته   ومَعْمعة الأبطال معركة الحرب[(٣)]
أليس أبونا هاشم شَدَّ أَزْرَهُ   وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولسنا نَمَلُّ الحرب حتَّى تملنا
ولا نَشْتكى ماقَدْ يَنوُب من النَّكْب[(٤)]
ولكننا أهلُ الحفائظِ والنهى   إذا طارَ أرواحُ الكُماة من الرُّعْبِ[(٥)]

وقال فى قصيدته اللامية :

كذبتم وبيت الله نترك مكة   ونظعن إلا أمرُكم فى بلابل[(٦)]
كذبتم وبيت الله نُبزَى محمداً   ولما نُطاعِنْ دونه ونُناضِل[(٧)]
ونُسلِمه حتى نُصَرَّعَ حوله   ونُذْهَلَ عن أبنائنا والحلائل[(٨)]

---

(١) لما تبن : لما تفصل ، سوالف : جمع سالفة . ناحية مقدم العنق ـ أترت : قطعت ؛ القساسية : السيوف نسبة إلى قساس . معدن الحديد بأرمينية :

(٢) الطخم ، السود فى مقدم الأنف .

(٣) الصهال : صوت الفرس ، حجراته : نواحيه .

(٤) النكب : المصيبة .   (٥) الكماة : الشجعان .

(٦) بلابل : وساوس ويروى « فى تلاتل » بالمثناة الفوقية : جمع تلتلة وهو الزعزعة والاقلاق والشدة :

(٧) نبزى : بالبناء للمفعول : أى نغلب ونقهر عليه .
وهو جواب القسم على تقدير لا النافيه كقوله تعالى « تالله تفتؤ تذكر يوسف » أى لا تفتؤ . .

(٨) نسلمه : أى لا نسلمه ، الحلائل : جمع حليلة وهى الزوجة .

وينهض قوم فى الحديد إليكم ... نهوض الرَّوَايا تحتَ ذاتِ الصلاصل (١)

وحتى نرى ذا الضِّغْنِ يركبُ رَدْعَهُ ... من الطعن فعل الانكَب المتحامل (٢)

وإنا لعمر الله إن جدَّ ما أرى ... لَتَلْتَبِسَنْ أسيافنا بالأماثل

بكفىْ فَتًى مِثلِ الشّهاب سَمَيْدع ... أخى ثقةٍ حامِى الحقيقة باسِل (٣)

ومن فرسان قريش المشهورين (عمرو بن عبدودّ العامرى) أدرك الإسلام وحضر بدراً مع قريش وجرح فيها وحضر الخندق واقتحم هو وفرسان من قريش الخندق بخيولهم وطلب المبارزة فخرج له على رضى الله عنه وقال يا رسول الله أنا له فقال له إنه عمرو أجلس فنادى عمرو ثانياً ألا رجل يخرج إلىَّ أين جنتكم التى تزعمون أن من قتل منكم دخلها فقام على فقال أنا له يارسول الله فقال اجلس فنادى عمرو الثالثة وقال :

ولقد بَحِحْتُ من الندا ... ء بجمعكم : هل مِنْ مُبارز ؟

ووقفتُ إذ جَبُنَ المشَ ... جّعُ مَوْقِفَ القِرْنِ المناجز

وكذاك إنى لم أزل ... مُتَسرعاً قِبَلَ الهزاهز (٤)

إن الشجاعة فى الفتى ... والجودَ من خَيْرِ الغرائز

فقام على فقال أنا له يا نبى الله فقال إنه عمرو فقال وإن كان عمراً فأذن له فأتاه وهو يقول :

لا تعجلنَّ فقد أتا ... ك مُجيبُ صَوْتك غيْرَ عاجز

---

(١) الروايا : جمع راوية ، البعير يستقى عليه ، ذات الصلاصل : المزادة التى ينقل فيها الماء . والصلاصل . بقية الماء فيها .

(٢) الضغن : الحقد . الردع : اللطخ والأثر من الدم . يقال للقتيل « ركب ردعه » إذا خر لوجهه على دمه . الانكب من لاقوس له. المتحامل : الغضبان المتقع .

(٣) السميدع : السيد الموطأ الاكناف ، الباسل : الشجاع .

(٤) الهزاهز : تحريك البلايا والحروب الناس .

ذوُ نيــةٍ وبصـــيرةٍ والصِّـدْقُ مُنْجِـ كل فائز
إنى لأرجو أن أقـــــــيم عليك نائحةَ العجائز
من ضربةٍ نجـلاء يبـ ـقى ذكرها عنـد الهَزاهز

فقال له من أنت قال على قال أبن عبد مناف قال ابن أبى طالب فقال غيرك يا ابن أخى من أعمامك من هو أسن منك ، فانى أكره أن أُهْرِيقَ دمك فقال على ولـكنى لا أكره والله أن أهُريق دمك فغضب ونزل عن فرسه وسلّ سيفه كأنه شعلة نار وأقبل نحو على فاستقبله علَى بدرقته فضربه عمرو فيها فقدّها وأثبتَ السيف فيها ولحق ذُبابه رأسَ علَى فشجّه وضربه علىٌّ على حبل العاتق فسقط كالجذع وثار العَجَاج وسمع النبى التـكبير فعرف أن علياً قتله وفرّ أصحابه راجعين .

فرسان اليمن

عمرو بن معديكرب وزيد الخيل الطائى

فأما عمرو بن معدِ يكَرِب الزَّبيدِىّ فهو صاحب الصِّمصامة السيف المشهور وقد أدرك الإسلام وهو شيخ وأسلَم ثم ارتدَّ ثم رجع وحضر حروب القادسية وفارس مع سعد فى خلافة عمر وكانت له فيها مآثر عظيمة هو وطليحة المتنبى واستشهد بنهاوند ، وذكر أهل المغازى أن النبى صلى الله عليه وسلم أرسل على ابن أبى طالب وخالد بن سعيد بن العاص إلى اليمن فبلغا بنى زَبيد فقال لهم عمرو ابن معديكرب دعونى آتى هؤلاء القوم فانى لم أُسَمَّ قط لأحد إلا هابنى فلما دنا منهما نادى أنا أبو ثور ، أنا عمرو بن معديكرب فابتدره على وخالد كل واحد يقول لصاحبه خلنى وإياه فقال عمرو العرب تفزع منى وأرانى لهؤلاء جزوراً وانصرف وقد أهدى صمصامته لخالد بن سعيد ومدحه بقصيدة ، وكتب

عمر إلى سعد بن أبى وقاص فى حرب القادسية أن استعن بعمرو بن معد يكرب وطليحة بن خويلد وكان يوم القادسية يمر على الصفوف ويقول يامعشر المهاجرين كونوا أسوداً أشداء فان الفارسى إذا ألقى رمحه تيس فرماه أسْوَارٌ من الأساورة[١] بنشابة فأصابت قَرَبُوس سَرْجه فحمل عليه عمرو فأخذه كما تؤخذ الجارية فوضعه بين الصفين واحتزَّ رأسه وقال اصنعوا هكذا يا معشر المسلمين ، ومن شعره فى القادسية .

والقادسية حين زاحمَ رستم ... كنا الكماةَ نهز كالأشطان

ومضى ربيع بالجنود مشرِّقا ... ينوى الجهاد وطاعة الرحمن

ولما فتحت القادسية أرسله سعد إلى أمير المؤمنين عمر وأخبره بشجاعته وحسن بلائه ، وأرسله عمر أيضامع النعمان بن مُقَرِّن إلى نهاوند حين ولى النعمان حرب الفرس بعد سعد فاستشهد بها ، وأرسل إليه عمر بن الخطاب مرة أن يبعث إليه بصمصامته فبعث بها إليه فلما ضرب به وجده دون ما كان يبلغه عنه فكتب إليه فى ذلك فقال إنما بعثتُ إلى أمير المؤمنين بالسيف ولم أبعث إليه بالساعد الذى يَضرِب به ، وقال له عمر يوماً : صف لنا الحرب . قال هى مُرَّة المذاق إذا كَشَفَت عن ساق من صبَر فيها عُرِف ومن نكَل فيها تَلِف ثم أنشأ يقول :

الحرب أول ما تكون فَتِيَّةً ... تسعَى بزينتها لكل جَهُولِ

حتى إذا حَمِيَتْ وشَبَّ ضِرامُها ... عادتَ عجوزاً غيَر ذاتِ حليل

شمطاءَ جزَّتْ رأسها وتنكَّرت ... مكروهةً للشَّمِّ والتقبيلِ[٢]

وسأله عمر عن السلاح قال يسأل أمير المؤمنين عما بدَاله قال ما تقول فى

---

(١) الأسوار : بضم الهمزه وكسرها الجيد الرمي بالسهام وجمعه أساورة .

(٢) ويروى (للثم) بدل (للشم) .

التُّرس قال هو المِجَنُّ وعليه تدور الدوائر . قال فما تقول فى الرمح . قال أخوك وربما خانك فانقصف . قال فالنَّبل قال منايا تُخطىء وتُصيب . قال فما تقول فى الدِّرع . قال مثقَلَة الراجل ، مشغلة للفارس وإنها لحصن حصين . قال فما تقول فى السيف . قال هناك لا أم لك يا أمير المؤمنين . فضربه عمر بالدِّرة وقال بل لا أم لك .

ومن كلامه الفزَعات ثلاث فمن كانت فزعته فى رجليه فذلك لا تقِلُّه رجلاه ، ومن كانت فزعته فى رأسه فذلك الذى يفِرُّ عن أبويه ، ومن كانت فزعته فى قلبه فذلك الذى يقاتل . ومن شعره :

أعاذِلُ عُدَّتى بدَنى ورُمحِى ... وكُل مُقلِّصٍ سلِس القياد [(١)]

أعاذِلُ إنما أفنى شبابى ... إجابتىَ الصريخَ إلى المنادِى

مع الأبطال حتى سَلَّ جسمى ... وأقرحَ عاتقى حَمْلُ النِّجاد

ويبقى بعد حِلم القوم حِلمى ... ويفنى قبل زادِ القوم زادى

ومن عجبٍ عجِبتُ له حديثٌ ... بديعٌ ليس من بِدَع السَّداد

تمنَّى أن يلاقينى (قييسٌ) ... وددت وأينما منى ودادى

يهددنى وسابِغتى قميص ... كأنَّ قتيرها حَدَق الجراد [(٢)]

وسيف لابن ذى قِيفان عندى ... تُخُيِّر نصْلُه من عهد عاد

فلو لاقيتنى للقيتَ ليثا ... هصوراً ذاظُبا وشَبا حِداد [(٣)]

ولاَ اسْتَيقَنْتَ أن الموت حق ... وصرَّح شحمُ قلبك عن سواد

أريد حياتَه ويريد قتلى ... عذيرَكَ من خليلِك من مُرادِ [(٤)]

---

(١) يقال فرس مقلص : أى مستمر فى سيره .

(٢) القتير : رءوس مسامير الدرع .

(٣) الظبا والشبا : الحد من كل شىء .

(٤) فى رواية الكامل (حباءه) بكسر أوله بدل (حياته) .

وقيس الذى ذكره فى شعره هو ابن مَكْشُوح المرادى [1] وهو ابن أخته وكان يعاديه ويتهدده ، وهو أيضاً من الشجعان المعدودين أسلم وحضر حروب فارس وكان له فيها ذكر وقتل بصِفِّين مع على رضى الله عنه ، وسأل الفاروق عمراً أيضاً عن العدنانيين أيهم تكره محاربته فقال أحيًّا أو رَجلا فقال حيًّا ورجلا فقال أما الحىّ فأكره لقاء الاراقم من بنى تغلب ، وشيبان من بكر بن وائل ، وبنى كلاب من عامر ، وبنى رَواحة من عبس ثم لو جُلْت على فرسى مياه العدنانيين كلّها لا أخاف ما لم يلقنى حُرَّاها أو عبداها فأما حُرَّاها فعامر ابن الطُّفَيْل العامرى وعُتيبة بن الحارث التميمى وأما عبداها فسُلَيك المقانب التميمى وعنترة الفوارس العبسى وسيأتى تراجم هؤلاء ، وأضاف عمرو بن معديكرب مجاشعُ بن مسعود السلمى وكان أميراً على الكوفة من قبَل الفاروق فأكرمه وحباه فخرج فقال له الناس كيف وجدت السلمى يا أبا ثور فقال لله درُّ بنى سُليم ما أحسن فى الهيجاء لقاءها وأكرم فى اللزْبات [2] عطاءها وأثبت فى المكرمات بقاءها ، وكانت بنو سُليم غزت فى الجاهلية ورئيسهم العباس ابن مرداس الصحابى المشهور بنى زُبَيْد فجمعَتْ لهم زُبَيْد قبائل مذحِج والتقوا وعلى اليمانيين عمرو بن معد يكرب واقتتلوا قتالا شديداً ، حتى ملّوا ولم يظفر أحد الفريقين بصاحبه ، فقال العباس قصيدته المذهبة المنصفة يصف حربهما ــ منها :

فلم أر مثل الحى حياً مُصَبَّحاً ... ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا
أكرَّ وأحمى للحقيقة منهم ... وأضربَ منا بالسيوف القلانسا [3]

---

(١) « المكشوح » هو « هبيرة » سمى بذلك لأنه ضرب على كشحه أى جنبه .

(٢) اللزبات : الشدائد .

(٣) القلانس جمع قلنسوة : لباس الرأس وهى هنا الخوذة المعروفة .

إذا ما شددنا شَدَّةً نصَبُوا لنا صدور المذاكى والرماح الْمَدَاعِسا[1]
إذا الخيل جالت عن صريع نكرُّها عليهم فما يرجعن إلا عوابسا

فلذلك أثنى عليهم عمرو بما ذكر .

زيد الخيل بن مهلهل الطائى

وأما زيد الخيل فيكنى أبا مُكنِف ولقب بزيد الخيل لخمسة أفراس كانت له وهو من الشجعان المعدودين ، وكان طويلا جداً يركب الفرس فتخُط رجلاه بالأرض كأنه راكب حماراً ، ويقبِّل الظعينة وهى فى الهودج وهو واقف وكان سيداً فى قومه كريماً مِغواراً أدرك الإسلام ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم ومعه رهط من قومه ، فأسلم وحسن إسلامه ، وأقطعه النبى صلى الله عليه وسلم أراضى كثيرة ، وكتب له كتاباً إلى قومه ولقبه النبى صلى الله عليه وسلم (زيد الخير) وقال فيه ماقدم علىَّ رجل من العرب يفضِّله قومه إلا رأيته دون مايقال فيه إلا زيدا وقال فيه أى فتى إن نجا من أم كلبة « يعنى الحمى » فمات رضى الله عنه فى الطريق وهو راجع إلى قومه ومن شعره :

وقد علمت سلامة أن سيفى كريهٌ كلما دُعيَتْ نَزَالِ
أحادثه بصقل كل يوم وأعْجمُهُ بِهَامَاتِ الرجالِ

وأهدى المِخْذَم والرَّسُوب سيفين شهيرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

بعض فرسان قبائل قيس عيلان

من مضر فى الجاهلية

منهم أربعة أبو براء عامر بن مالك الملقب بملاعب الأسنة ، وابن أخيه عامر بن الطفيل بن مالك ، ودريد بن الصمة ، وعنترة العبسى .

---

(١) المذاكى : الخيول ، المداعس : جمع مدعاس : الرمح الذى لا ينثنى .

أبو براء

فأما أبو براء فكان سيد بني عامر في الجاهلية وفارسهم ربعهم أربعين مرباعا ، والمرباع أخذ الرئيس رُبْع الغنيمة إذا غزوا ، ولقب بملاعب الأسنة يوم السوبان ، وكان بين بني عامر وبني تميم صمد له فارسان من بني تميم كلما طعنه أحدهما انقلب إلى جنب الفرس ، فقال رجل ما هذا إلا ملاعب الأسنة وفرّ عنه أخوه طُفَيلٌ في ذلك اليوم فقال فيه الشاعر :

فررتَ وأسلمت ابن أمك عامراً يلاعبُ أطرافَ الوشيج المقوّم

وقال في أبي براء :

ولاعبَ أطرافَ الأسنة عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع

وقد أدرك أبو بَرَاء البعثة وهو شيخ كبير ، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يسلم ولم يبعد وأهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم هدية فلم يقبلها ، وقال لو كنت قابل هدية مشرك لقبلت هدية هذا ، وقال للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد إني أرى دينك هذا حسناً فابعث معي رجالا من أصحابك يدعون أهل نجد إليه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أخاف عليهم من أهله ، فقال أنا جارٌ لهم ثم سافر إلى بلاده وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم وراءه سبعين من القرّاء إلى أهل نجد ومعهم كتاب إلى عامر بن الطفيل ابن أخي أبي براء ، فلما نزلوا موضعاً يقال له « بئر معونة » أرسلوا حَرام بن مِلحان الأنصاري بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل ، فلما جاءه أعطاه الكتاب فلم ينظر فيه وطعن حراماً فقتله . وكان قد غلب على رئاسة عمه لما هَرِم واستصرخ على الصحابة قبائلَ بني عامر فامتنعوا وقالوا قد أجارهم عمك ولا نخفر ذمته فذهب إلى بني سليم فاستنفرهم ، فأجابته بنو رِعل وبنو ذَكوان ، وأتى بهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم لا يشعرون . حتى غشيتهم الخيل ، فقاموا وقاتلوا فاستشهدوا كلهم إلا عمرو بن أمية الضمري ، فلما بلغ النبي صلى الله

عليه وسلم ، قال هذا عمل أبي بَراء وقنت شهراً يدعو على رِعل وذَكوان ، فغضب أبو براء وقال استضعفني عامر لما هرمت وخفر ذمتي وشرب الخمر صِرْفا حتى مات كافراً .

ومن شعره لما أسن وضعفه بنو أخيه وخرّفوه ولم يكن له ولد يحميه قوله :

دفعتكمُ عنّي وما دَفْع راحةٍ بشيء إذا لم تستطع بالأنامل
يُضَعِّفني حلمي وكثرة جهلكم عَلَيّ وأني لا أصول بجاهل

عامر بن الطفيل

وأما الشقي عامر بن الطفيل ، فإنه بعد هذه الواقعة قال كادت العرب أن تتبع قدمي ويريد هذا القرشي أن أتبعه ، ثم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابن عمه أربد ، وكان فاتكا ، وكان اتفق معه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال له إني أشغله عنك بالحديث فاضرب به أنت من خلفه بالسيف ، فلما دخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه إلى الإسلام فقال ما تجعل لي إن اُتبعتك ، فقال أعنة الخيل ، قال أو ليست لي لأَملأَنَّها عليك خيلا جُرْدا ورجالا مردا ولأربِطَن بكل نخلة فرسا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم يأبى الله ذلك وأبناء قَيْلة يعني الأنصار ، فدخل أُسَيد بن حُضَير رضي الله عنه وجعل يضربهما على رؤسهما بنعل الرمح ويقول اخرجا أيها المجرسان ، فقال له عامر من أنت ، قال أسيد بن حضير ، قال أبوك كان خيراً منك ، قال كذبت أنا خير منه ومنك لأنكما مشركان وأنا مسلم ، فخرجا فقال النبي اللهم اكفني عامراً بما شئت ، وقال عامر في الطريق ويلك يا أربد أين ما قلت لك والله ما كان رجل على وجه الأرض هو أخوف عندي على نفسي منك وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً ، فقال أربد لا تعجل عليّ والله ما هممت بالذي أمرتني به من أمره إلا دخلتَ بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف ، حتى إذا كانا ببعض الطريق بعث الله إلى عامر الطاعون في عنقه

فقتله فى بيت امرأة من بنى سَلُول فجعل يقول أغدةً كغدة البعير وموتا فى بيت سلولية وذلك لأن بنى سَلُول كانوا محتقرين فى العرب ونزلت صاعقة على أربد بعدما وصل أهله فقتلته ومن شعر عامر بن الطفيل قوله :

وإنى وإن كنت ابن سيد عامر — وفارسها المشهور فى كل موكب[١]
فما سوّدتنى عامر عن وراثة — أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكننى أحمى حماها وأتقى — أذاها وأرمى من رماها بمنكبى[٢]

دريد بن الصمة

وأما دريد بن الصمة ، فكان فارس عَلْيا هَوازِن وثَقِيف وهو صاحب ربيعة بن مكَدَّم فى القصة المتقدمة لما أعطى رمحه لربيعة ، وكان دُرَيد من المعمّرين قيل عاش مائتى سنة ، وكان شاعراً مجيدا وأدرك الإسلام شيخاً هرما وحضر (حُنينا) مع قومه هوازن ، وكانوا أركبوه فى هودج وأحضروه معهم للمشورة وولوا أمرهم مالك بن عوف النصْرى وساقوا معهم نساءهم وأموالهم ونزلوا (أوْطاس) وكان دُريد قد عمى فقال لهم بأى واد أنتم قالوا (بأوطاس) قال نِعْم مجال الخيل لا حَزْن ضَرْسٌ[٣] ولاسهل دَهْسٌ[٤] مالى أسمع رُغاء البعير ونهيق الحمير وبكاء الصغير ويُعار الشاء قالوا ساق مالك مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم قال أين مالك قيل هذا مالك ودُعى له فقال يا مالك إنك قد أصبحت رئيس قومك وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ما هذا الذى

(١) وفى « مروج الذهب » للمسعودى تدل الشطر الثانى ما نصه (وفى السر منها والصريح المهذب) .

(٢) وفى مروج الذهب (بمقنب) بدل « بمنكبى » والمقنب : مخلب الأسد : أو الكتيبة .

(٣) خرس : شديد خشن .

(٤) دهس : ليس برمل ولا تراب .

أسمعه قال سقتُ مع الناس أموالهم ونساءهم . قال ولمَ ذاك قال أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم فقال له دريد راعِيَ ضأن والله وهل يرد المنهزمَ شيء إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه وإن كانت عليك فُضِحْت فى أهلك ومالك ، ثم قال ما فعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهد منهم أحد قال غاب الحدُّ والجِد ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب . ثم قال يا مالك إنك لم تصنع شيئاً بتقديمك بيْضة هوازن إلى نحور الخيل أرفعهم إلى متمنّع بلادهم وعَليا قومهم . ثم الْقَهُم على ظهور الخيل فإن كانت لك لحق بك مَنْ وَراءك وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزتَ مالَكَ وأهلَكَ فقال مالِكَ لا والله إنك قد كبرت وخرِفت والله لتطيعُنَّنى يامعشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى وكره أن يكون لدُريْد فيها ذِكر أو رأى قالوا أطعناك فقال دُريد هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى ثم أنشد :

يا ليتنى فيها جـذَع أَخُبُّ فيها وأضَعْ
أقود وطْفاء الزَّمَع كأنها شاةٌ صَدَعْ

فلما التقى المسلمون مع هوازن وكُسِرت هوازن وتبعتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم لحق ربيعة[1] بن رفيع السُّلَمى درَيْد بن الصِّمة وأخذ بخطام جمله وأناخه وهو يظنه امرأة وإذا به شيخ كبير فى محفة فقال له دُرْيد ماذا تريد بى قال أقتلك قال ومن أنت قال ربيعة بن رفيع السُّلَمى ثم ضربه بسيفه فلم يغن فيه شيئا فقال دريد بئس ماسلحتك أمك خذ سيفى هذا من مُؤخَّر الرحل ، ثم أضرب به وأرفع عن العظام وأخفض عن الدماغ فكذلك كنت أضرب الرجال وإذا أتيت أمك فاخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فربَّ

---

(١) ربيعة : هو ابن الدغنة . والدغنة : أمه .

والله يومٍ منعتُ فيه نساءك فزعمتْ بنو سُليم أن ربيعة قال لمـا ضربتُه وقع فتـكشف فإذا عجانه و بطون فخذيه مثل القرطاس من ركوب الخيل فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله فقالت حرق الله يدك إنما قال ذلك ليذكرنا نعمه عليك صدق فوالله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً فى غداة أنا وأمى وأم أبيك .

عنترة بن شداد

وأما عنترة بن شداد الملقب بعنترة الفوارس فـكان فارس غطفان ولم يدرِك الإسلام ، وكان شاعراً مفلقاً شجاعاً جواداً عفيفاً ، وقيل له صف لنا الحرب فقال أولها شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى ، ومايذكر عنهمن المبالغةفى الشجاعة فهو من خرافات الجهال والوضّاعين وما من شجاع إلا و يلحقه خوف مّا وكيف لا وشعر عنترة فى معلقته يشهد لذلك حيث قال :

إذ يتقون بى الأسنة لم أخِم عنها ولـكنى تضايق مقدمى

قال الأدباء لا معنى لتضايق مقدمه فى هذه الواقعة إلا جبنه وإلا فالأرض واسعة المجال .

فارسا بنى تميم من مضر

عتيبة بن الحارث بن شهاب والأحيمر السعدى

فأما عتيبة فـكان يلقب بصياد الفوارس وقتلته بنو أسد فى الجاهلية فقُتل قاتله فقال أبو قاتله :

إن يقتلوك فقد ثللتَ عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب

وقد أسر عتيبة هذا بسطام فارس بكر بن وائل ففدى نفسه بأربعمائة ناقة وثلاثين فرساً ، وعتيبة هذا هو أحد الأربعة الذين عناهم عمرو بن معديكرب كما تقدم .

وأما الأحيمر بن خلف بن بَهْدلة بن عوف بن كعب بن سعد مناه السعدى فله قصة مشهورة مع النعمان بن المنذر ملك العرب وذلك أن وفود العرب اجتمعت عنده فاراد أن يبتليهم فاخرج لهم (بُرْدَى) جده المنذر بن ماء السماء وقال ليقم أعز العرب فيلبس هذين البُرْدَيْن فقام الأحيمر فأتزر بأحدهما وارتدى بالآخر فقال له الملك . أنت أعز العرب . قال نعم . قال : بم . فقال له : العز والشرف فى العدنانيين . ثم فى نزار ، ثم فى مضر منهم ، ثم فى تميم من مضر ، ثم فى سعد من بنى تميم ، ثم فى بنى بهدلة ابن كعب بن سعد فمن أنكر هذا من العرب فلينافِرْنِى. فقال له الملك . هذا أنت فى أصلك فكيف أنت فى أهلك ونفسك . فقال : أنا أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة وخال عشرة وهذه نفسى شاهدة ومدّ رجليه وقال : من أزالها من موضعهما فله مائة ناقة . فلم يعارضه أحد من أشراف العرب الحاضرين فذهب بالبردين ، فقال الفرزدق فى الإسلام مفتخراً ببنى بهدلة وذكر هذه القصة فى شعره :

فما تَم فى سعد ولا آلِ مالك ... غلامٌ إذا ما قِيلَ لم يَتَبَهْدلِ
لَهمْ وهب النُّعمان بُرْدَىْ مُحَرِّقٍ ... بمجدِ مَعَدٍّ والعديد المُحصَّل

ولم يدرك عتيبة والأحيمُر الإسلام .

بسطام بن قيس الشيبانى

هو من فرسان قبائل ربيعة وساداتها الذى تقدم أن عتيبة أسره وكان نصرانياً كثير الغزو لبنى تميم وقتلته بنو ضبّة من مُضر حينما غزاهم طعنه عاصم ابن خليفة منهم وكان أعسر من الصدغ الأيسر فانفذه من الأيمن .

العدّاءون

وأما العداءون من العرب وهم الذين يغزون على أرجلهم ولا تعلق بهم الخيل فهم جماعة والمشهور منهم أربعة : عمرو بن براق الهمدانى ، والشنْفَرى الأزدى ، وتأبط شرًّا العَدوانى ، واسم الشنفرى شمس بن مالك . واسم تأبط شرا ثابت ابن جابر ، والرابع سُلَيْك المقانب بن سُلَكَة السعدى ، ثم التميمى والثلاثة الأول يغزون مجتمعين دائمًا، وأما سليك فكان يغزو وحده ولا يغزو إلا أرض اليمن فإن لم يجد منهم غِرَّة عدل عنهم إلى قبائل ربيعة ، وكان يجعل الماء فى بيض النعام ويردِمه تحت الرمل فى مواضع طريقه للغزو فإذا جاء القيظ وانقطعت السابلة بسبب الحر غزا أرض مراد من اليمن واستاق نَعَمَهم فيتبعونه حتى يدخل بهم القفر فيقطعهم العطش فيرجعوا عنه فيذهب بالنعم ، وكان سُليك أسود كالغراب لأن أمه جارية سوداء مثل عنترة وهو أحد الأربعة الذين تقدم خوف عمرو ابن معديكرب منهم، وكان أيِّدًا وغزا مرة قبائل مراد فلما كان فى أثناء الطريق نام فما شعر إلا برجل بَرَكَ فوقه وصار يلكمه ويقول له استأسر ياعدوّ الله فقال له السليك الليل طويل وأنت مقمر فذهبت مثلا فألح عليه الرجل بالأذى فأخرج يديه من تحت العباء وضمهما على ظهر الرجل وضغطه فضرط فقال السليك أضراطًا وأنت الأعلى فذهبت مثلا ثم أرسله وقال له من أنت وما تريد قال أنا رجل من العرب صعلوك خرجت أطلب مالا أو أموت ولا أرجع إلى أهلى فارغًا فجاءهم ثالث يطلب ما يطلبونه فقال لهما السُّليك اتبعانى لنغزوا جميعًا فوردوا أرض مراد فوجدوا الرعاء فقال لهما السليك إنكما لا تقدران على العَدْو مثلى وأنا أذهب إلى الرعاء وأسألهم عن الحى فإن كان بعيداً رفعت صوتى لكما بذلك فأغيرا أنتما على المال فانى شاغل عنكما الرعاء بالحديث فلما جاءهم وفهم أن الحى بعيد قال لهم أغَنِّى لكم قالوا نعم فرفع عقيرته مسمعا صاحبيه وقال :

يا صاحبىَّ ألاَ لاَ حَىَّ بالوادى ... إلا عبيدٌ وآمٌ بين أذوادِ[1]

أتمكثان قليلا ريثَ غفلتِهم ... أم تغدوان فإن الربْحَ للغادى

فأغار صاحباه على النَّعَم فساقاه وهو ينشد الرعاء الشعر حتى علم أن صاحبيه قد فاتا فقام ولحقهما فطلبتهم مراد فلم تلحقهم .

ومن غريب حديثه فى شدة العَدْو ما حكاه أهل الأدب قالوا أغار السليك على مراد فلم يحصِّل شيئاً فرجع فلما كان فى الطريق و بينه و بين قومه ثلاثة أيام التقى مع جيش من بكر بن وائل يريدون غزو قومه بنى تميم فلما رأوه قال لهم رئيسهم هذا سليك امسكوه لئلا يذهب إلى قومه فينذرهم بكم فيستعدوا فأرسلوا وراءه فارسين يطاردانه فعدا وطارداه بقية يومهما وقالوا لعله إذا جاء الليل يتعب فنلحقه فلما كان مع الغروب وجداه قد عثر بأصل شجرة برية فَرَضَّها وندرت منها شظية فقالا قاتله الله لعلنا نلحقه آخر الليل إذا أعيا فباتا يطردان وراءه فلما كان عند الصباح وجداه قد جلس فى مكان فبال نخدَّ أخدودا فى الأرض فقالا قاتله الله ما أشد متنه والله لا نتبعه بعد هذا ورجعا إلى الجيش ووصل هو إلى قومه فأنذرهم فسألوه عن موضع الجيش الذى لقيهم فيه فأخبرهم فكذبه قومه ولم يستعدوا وصدقه آخرون فارتحلوا واستعدوا فقال السليك فى ذلك .

يكذبنى العَمْران عَمرُو بن جَنْدبٍ ... وعمرُو بن عمرو والمكذِّبُ أكذب

ثكلتكما إن لم أكن قد رأيتها ... كتائب يُهديها إلى الموت موكب

كتائب فيها الحوْفَزان وحوله ... فوارسُ هَمَّام متى يَدْعُ يركبوا

فصبَّحهم الجيش فى اليوم الثالث فاكتسحهم .

---

(١) آم : جمع أمة : جارية مملوكة .

وأما فُتّاك العرب فثلاثة مشهورون وهم الحارث بن ظالم المرى، وعمرو بن كلثوم التغلبي ، والبَرّاضُ بن قيس الكِناني .

الحارث بن ظالم

فأما الحارث بن ظالم المرى ثم الغطفانى فانه وفد على الأسود بن المنذر أخى النعمان بن المنذر ملك العرب فوجد عنده خالد بن جعفر سيد بنى عامر فقدم لهما تمراً فجعل خالد يأكل ويلقى النوى بين يدى الحارث عبثاً به ثم قال له : يا حارث ألا تشكر يدى عندك أن قتلت عنك سيد قومك زهيراً وتركتك سيدهم ، وكان خالد بن جعفر قتل زهير بن جذيمة العبسى سيد غطفان فقال له الحارث سأجزيك شكر ذلك فلما خرج الحارث قال الأسود لخالد ما دعاك إلى أن تحترش بهذا الكلب وأنت ضيفى فقال له خالد إنما هو عبدى لو وجدنى نائماً ما أيقظنى وانصرف خالد إلى قبته فلامه عروة الرحال ابن أخيه ثم ناما وقد أسرجت عليهما القبة وكان مع الحارث تبيع له من بنى محارب فأعطاه ناقته وقال له انتظرنى بمكان كذا فان طلع كوكب الصبح ولم آتك فاذهب حيث شئت ثم انطلق الحارث حتى أتى قبة خالد فهتكها ودخل وقال لعروة اسكت لا بأس عليك أنت ثم أقبل إلى خالد فقتله وخرج فصاح عند ذلك عروة واجِوَار الملك فأقبل الناس إليه وسمع الملك ، وهرب الحارث فلجأ إلى معبد بن زرارة سيد بنى تميم فأجاره فقالت بنو تميم لمعبد مالَك آويت هذا المشئوم وأغريت بنا الأسود وخذلوه إلا جماعة منهم فوقع بذلك يوم رحرحان بين بنى عامر وبنى تميم فكسرت تميم وأسر معبد بن زرارة وبقى فى الأسر حتى مات عند بنى عامر ثم تنقل الحارث فى قبائل العرب حتى استقر عند طيء فمكث عندهم حيناً فلما عجز الأسود عنه أرسل إلى جارات كن له فاستاقهن وأموالهن فبلغ ذلك الحارث ابن ظالم فخرج من عند طيء واندس فى الناس حتى علم مكان جاراته ومرعى بهن فاستنقذهن واستاق إبلهن فألحقهن بقومهن واندس فى بلاد غطفان حتى

أتى سنان بن أبي حارثة المرّى وهو أبو هرم الذى مدحه زهير وكان الأسود بن المنذر قد استرضع ولده شرحبيل عند سلمى امرأة سنان فكانت لاتأمن على ابن الملك أحداً فاستعار الحارث سرج سنان وكان سنان فى ناحية الشَرَبَّة بعيداً عن الحى فحمله وأتى به امرأة سنان وسنان لايعلم مايريد بذلك فقال لها يقول لك بعلك ابعثى ابنك مع الحارث فأنى أريد أن أستأمن له الملك وهذا سرجه آية على ذلك فزينته سلمى ودفعته إليه فأتى به ناحية من الشرَبَّة وقتله وقال يخاطب الأسود بن المنذر :

أخصْيَيْ حِمارٍ بات يكدم نجمة أتأكل جاراتى وجارك سالم

علوتُ بذى الحيَّات مفْرِق رأسه ولا يركب المكروه إلا الأكارم

فتكت به كما فتكت بخالدٍ وكان سلاحى تحتويه الجماجم

بدأت بتلك وانثنيت بهذه وثالثة تبيَضُّ منها المقادم

وهرب إلى الشام فالتجأ إلى يزيد بن عمرو الغسانى فأجاره وأكرمه وكان للغسانى ناقة محماة فى عنقها مدية وزناد وصرة ملح وكان يمتحن بها رعيته لينظر من يجترىء عليه فوحمت امرأة الحارث فاشتهت شحما فانطلق الحارث إلى ناقة الملك فنحرها وأتاها بشحمها وفقدت الناقة فأخبر الملك بأن الحارث نحرها فأمر رجلا من بنى تغلب بقتله فقتله وأخذ سيفه وأتى به سوق عكاظ فى الأشهر الحرم فأراه قيس بن زهير فقتله قيس وقال يرثى الحارث بن ظالم :

وماقصرت من حاضر دون سرها أبر وأوفى منك حار بن ظالم

أعز واحمى عند جارٍ وذمة وأضرب فى كابٍ من النَّقْعِ قاتِمِ

عمرو بن كلثوم

وأما عمرو بن كلثوم التغلبي فانه كان شجاعاً شاعراً مفلقاً وكان إذ ذاك عمرو بن هند اللخمي ملكا وكان يلقب بمضرط الحجارة لخوف الناس منه وكان جبارا عاتيا فقال ليلة لندمائه هل تعلمون أحدا من العرب لا تخدم أمه أمي هند فقالوا له نعم عمرو بن كلثوم أمه فاطمة لا تخدم أمك قال ولم قالوا لأن أباها مهلهل بن ربيعة سيد بني تغلب وعمها كليب وائل أعز العرب وبعلها كلثوم فارس بني تغلب وابنها عمرو فقال لامتهننها بخدمة أمي ثم أرسل إلى عمرو بن كلثوم أن فِدْ إلي أنت وأمك فقدما عليه فدخل عمرو رواق الملك ودخلت أمه على هند أم الملك فقالت هند يافاطمة ناوليني ذلك الطبق فقالت فاطمة صاحبة البيت أحق بخدمة بيتها فأعادت عليها القول ثانياً فأبت فانتهرتها هند وشتمتها فصاحت فاطمة واذلاَّه يالَتغلب فسمع عمرو فقام إلى سيف الملك وهو معلق بالرواق فضرب به عمرو بن هند فقتله .

البرّاض بن قيس

وأما البرّاض بن قيس الكناني فإنه وفد على النعمان بن المنذر ولفتكه وجنايته على قومه طردوه فوجد عنده عروة الرحال بن عتبة الهوازني سيد بني عامر وكان الملك كل سنة يرسل لطيمة إلى سوق عكاظ لتباع له فيه في جوار رجل من أشراف العرب ، واللطيمة في اللغة العير المحملة عطرا ومسكا فقال النعمان من يجيز لي اللطيمة إلى سوق عكاظ فقال له البراض أنا أجيزها على بني كنانة فقال عروة الرحال أنا أجيزها لك أيها الملك دون هذا الخليع المطرود يعني البراض فدفعها الملك إلى عروة فقال له البراض أتجيزها ياعروة على بني كنانة قال وعلى الناس كلهم فخرج فيها عروة وخرج البراض وراءه حتى

إذا وصل ذا طَلَّال وثب عليه البرّاض فقتله وأتى خيبر فقتل بها رجلين أحدهما من غطفان والآخر من غنى جاءا يطلبان بثأر عروة الرحال وقال البراض فى ذلك :

وداهية تهم الناس قبلى   شددت على بنى بكر ضلوعى (١)

هدمت بها بيوت بنى كلاب   وألحقت الموالىَ بالضروع (٢)

رفعت له بذى طلَّال كفى   فخرَّ يميد كالجزع الصريع (٣)

فوقعت حرب الفجار بسبب فتكة البراض وقتله عروة الرحال بين قيس عيلان وبين كنانة وسميت فجارا لأنهم اقتتلوا فى الأشهر الحرم وكانوا فى الجاهلية يحرمون القتال فيها فلما تحارب هؤلاء قالت العرب فجروا فسميت حرب الفجار وقد حضر النبى صلى الله عليه وسلم هذه الحرب وكان عمره إذ ذاك عشرين سنة وكان ينبل عن أعمامه .

بعض مشاهير شجعان الاسلام

فرسان قريش

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

أشجع الخلق كلهم وأنجدهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وكيف لا والشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل ، والنجدة ثقة النفس عند

---

(١) فى العقد (وداهية يهال الناس منها

شددت على بنى بكر ضلوعى)

(٢) فى العقد (هتكت) بدل « هدمت »

(٣) فى العقد بدل الشطر الأول (جمعت له يدى بنصل سيف)

استرسالها إلى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف وكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذى لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفرّ الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يتزحزح ومقبل لا يدبر وما شجاع الا وقد أحصيت له فرّة وحفظت عنه جولة سواه قال البراء رضى الله عنه وقد سأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحارث آخذ بلجامها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب فما رئىَ يومئذ أحد كان أشد منه ، وقال غيره نزل النبى عن بغلته وذكر مسلم عن العباس قال لما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديثَ ، وقال العباس أيضاً فى رواية ابن اسحاق كنت آخذاً بلجام بغلته البيضاء قد شجرتها به قال وكنت أمرأ جسيما شديد الصوت قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس أين أيها الناس فلم أر الناس يلوون على شىء فقال ياعباس اصرخ يامعشر الأنصار أصحاب الشجرة قال فأجابوا لبيك لبيك وكرّوا على هوازن فكسروهم ، وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب ولا يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شىء ، وقال ابن عمر ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال على رضى الله عنه إنا كنّا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدوّ منه ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدوّ وكان من أشد الناس يومئذ بأساً وكان الشجاع من أصحابه هو الذى يقرب منه صلى الله عليه وسلم إذا دنا

العدوّ لقربه منه، وعن أنس بن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قِبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر وهو على فرس لأبي طلحة عرى والسيف فى عنقه وهو يقول لن تراعوا، وقال عمران بن حصين رضى الله عنه ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب ، ولما رآه أبىّ بن خلف يوم أحد وهو يقول أين محمد لا نجوت إن نجا وقد كان قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندى فرس أعلفها كل يوم فرَقا من ذرة أقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك إن شاء الله فلما رآه يوم أحد شدّ أبىّ على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال لهم صلى الله عليه وسلم هكذا خلوا إليّ طريقه وتناول الحربة من الحارث ابن الصِّمة وكان الصحابة الذين معه إذ ذاك تعلقوا به يريدون أن لا يبرز بنفسه إلى أبى ويكفيه ذلك رجل منهم فانتفض بالحربة انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشّعْراء عن ظهر البعير إذا انتفض، والشعراء ذباب له لذع .
ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه فى عنقه طعنة تدهده منها عن فرسه مراراً وقيل بل كسر ضلعاً من أضلاعه فرجع إلى قريش يقول قتلنى محمد وهم يقولون لا بأس عليك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال أنا أقتلك والله لو بصق علىّ لقتلنى فمات بسَرِف فى قفولهم إلى مكة ، قال أنس كنا نتحدث أن النبى صلى الله عليه وسلم أعطى قوة ثلاثين رجلا خرّجه النسائى ونحوه عن أبى رافع ، وعن طاووس أعطى عليه السلام قوة أربعين رجلا فى النكاح ،وقد وردت الأخبار بأنه صلى الله عليه وسلم صارع رُكانة بن عبد يزيد المطلبى وكان أشد أهل وقته وكان النبى صلى الله عليه وسلم دعاه إلى الإسلام فقال مستهزئاً به إن صرعتنى يامحمد أؤمن بك فصرعه ثلاث مرات

وأسلم رُكانة ، قال السهيلي وقد صرع أيضا الأشد الجمحى وكان أقوى رجل فى العرب مرارا ولم يسلم وكان الأشد يقف على جلد بقرة ويجذبه عشرة من الفتيان لينتزعوه من تحت قدمه فيتمزّق الجلد ولا يتزحزح عنه وقد قال لقريش إن جنود ربّ محمد التى يخوفكم بها تسعة عشر أكفونى اثنين وأنا أكفيكم سبعة عشر إعجابا منه بنفسه .

وبالجملة فهو صلى الله عليه وسلم وإخوانه من الرسل لا يدانيهم أحد من الخلق فى الشجاعة والنجدة وكيف لا وقد جمع الله فيهم سائر خصال الكمال ، وتتبعُ أحواله فى غزواته وجهاده تضيق عن تحريره هذه العجالة ، وأشجع الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الصحابة رضوان الله عليهم ، وأشجع الصحابة وأقواهم عزما وإيمانا أبو بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه .

أبو بكر رضى الله عنه

هو الصِّديق عبد الله بن أبى قحافة عثمان التيمى القرشى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان رضى الله عنه شريفا شجاعا كريما ، نقل ابن إسحاق عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن قريشا مرَّ بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فوثبوا إليه وثبة رجل واحد يقولون أنت الذى تقول كذا وكذا . . لما كان يعيب من آلهتهم ودينهم فيقول نعم قال فرأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه . قال فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه يدافعهم وهو يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ،وقد أراد أن يبارز ولده عبد الرحمن يوم بدر فمنعه النبى صلى الله عليه وسلم وقال له متِّعنا بنفسك يا أبا بكر ، ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدَّت العرب ومنعت الزكاة كان أشجع الناس وأسدَّهم رأيا ، عارضه الصحابة فى إرسال جيش أسامة الذى جهزه النبى قبل وفاته وقالوا له قد ارتدَّت العرب وإذا أرسلت هذا الجيش ربما يحصل له العطب قبل أن

يصل الروم ونخشى على المدينة من مهاجمة الأعراب فخالفهم وأنفذه وقال لهم أتريدون حلّ لواء عقدَه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب الجيش وغنموا من الروم غنيمة وراجع الإسلامَ من مرُّوا بهم فى طريقهم من العرب ودفعوا زكاتهم وقالوا لو كان هؤلاء ضعفاء ما أرسلوا هذا الجيش يعنون أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقال له عمر أقبل من الأعراب الصلاة ودع لهم الزكاة حتى نتقوى ويرجع إلينا جيش أسامة من الشام فقال والله لا أتركها لهم ولا أفرِّق بينهما وقد قرنَها الله فى كتابه والله لو منعونى عِقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه حتى تنفرد سالفتى وقد لَمّ الله به الشعَث وجبر به الصَّدْع الذى انخرق إلى أن جاءته منيته بعد سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال من خلافته .

عمر بن الخطاب رضى الله عنه

فقام بعده أبو الفتوح نور الإسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه القرشى ثم العَدَوى من بنى عدىٍّ بن كعب، كان إسلامه فتحاً وهجرته فتحاً وإمارته فتحاً ،ذكر ابن إسحاق أنه لما أسلم رضى الله عنه قال أى قريش أنقل للحديث قيل جميل بن معمر الجمحى فغدا عليه قال عبد الله ابنه وغدوت أتبع أثره وأنظر ماذا يفعل وأنا غلام أعقل كل ما رأيت حتى جاءه فقال له أعلمت ياجميل أنى قد أسلمت ودخلت فى دين محمد قال فوالله ما راجعه حتى قام يجرُّ رداءه وأتّبعه عمر واتّبعت أبى حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش وهم فى أنديتهم حول باب الكعبة ألا إن عمر بن الخطاب قد صبا قال يقول عمرُ من خلفه كذَب ولكنى أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤسهم وأعيا فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول افعلوا ما بدالكم فاحلف

بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لتركناها لكم أو لتركتموها لنا يعني مكة
وكان عدد من أسلم إذ ذاك يبلغ الأربعين وكانوا يجتمعون بدار الأرقم
ولا يتظاهرون بعبادتهم فقال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
ألسنا على الحق وهم على الباطل قال بلى فقال عمر ولم نختفي ونحن على الحق
أخرُجْ بنا إلى المسجد فخرجوا صفاً واحداً عمر في طرفه وحمزة في طرفه
الآخر .

وذكر الطبري في الرياض النضرة في مناقب العشرة أن الصحابة لما هاجروا
إلى المدينة خرجوا مستترين إلا عمر فإنه تقلد سيفه وتنكَّب قوسه وجاء إلى
نادي قريش وقال لهم إني ذاهب إلى يثرب فمن أراد منكم أن يثكِل أمه
أو ييتم أولاده فليلحقني فما تبعه أحد وقد حضر المشاهد كلها مع رسول الله صلى
عليه وسلم وقتل خاله العاص بن هشام يوم بدر ، وتولى الخلافة بعد أبي بكر
فأقام العدل وقتل شهيدا على يد الشقي أبي لؤلؤة بعد ولايته عشر سنين ونصفا
ومن شعره رضي الله عنه .

توعدني كعب ثلاثا يعدها ... ولا شك أن القول ماقال لي كعب
وما بي خوف الموت إني لميت ... ولكن خوف الذنب يتبعه الذنب

علي بن ابي طالب رضي الله عنه

هو أبو الحسن أمير المؤمنين وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
شهرته بالشجاعة والنجدة أوضح من كوكب النهار حتى قال فيه أسيد بن
أبي إياس الكناني قبل أن يسلم بعد وقعة بدر يخاطب قريشا ويعيرهم بما فعل
عليّ فيهم :

في كل مجمع غاية أخزاكم ... صدع يفوق على المذاكي القرّح

لله درُّكُمو ألمّا تذكروا ... قد يذكر الحر الكريم ويستحى

هذا ابن فاطمه الذى أفناكم ... ذبحا وقتلا بعضه لم يرتح

أين الكهول وأين كل دعامة ... فى المعضلات وأين زين الأبطح

وفاطمة أمه هى بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة فنزل النبى صلى الله عليه وسلم فى قبرها لأنها ربَّته ، وكانت درعه رضى الله عنه صدرا لا ظهر لها فقيل له يا أبا الحسن لم لا تجعل لها ظهرا فقال إذا مكَّنت عدوى من ظهرى فلا أبقى الله على ؛ شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدا تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلَّفه على المدينة أميرا فقال يا رسول الله أتتركنى مع النساء والصبيان وتفوتنى غزوة معك فقال عليه الصلاة والسلام ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى إلاَّ أنه لا نبى بعدى، وكانت قتلى قريش ببدر سبعين رجلا فكان ثلثها لعلى وعمه حمزة والباقى لسائر الصحابة ، وقد تقدمت مبارزته لعمرو ابن عبد وُد الفارس المشهور وقتله أياه فى ترجمة عمرو، وقتل أباسعد بن أبى طلحة يوم أحد وكان أبو سعد بن أبى طلحة حامل لواء المشركين نخرج بلوائه وطلب المبارزة مرارا وقال أنا قاصم أىِ داهية نخرج إليه على رضى الله عنه وهو يقول أنا أبو القصم فاختلفا ضربتين فقتله على . قال ابن هشام نادى مناد يوم أحد لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على ، وذو الفقار سيف رسول الله وكان النبى صلى عليه وسلم لما رجعوا من أُحُد ناول سيفه ذا الفقار ابنته فاطمة وقال اغسلى عنه الدم يا بنية فو الله لقد صدقنى اليوم فناولها على رضى الله عنه سيفه أيضاً وقال اغسلى عنه دمه فو الله لقد صدقنى اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دُجانه وقال على حين غسلت فاطمة سيفه من الدم .

أفاطم هاكِ السيف غير ذميم فلست برعديد ولا بلئيم

وأبو دجانة وسهل بن حنيف من الأنصار وستأتى ترجمة أبى دجانة فى شجعان الأنصار ، وبارز أيضاً مرحبا اليهودى يوم خيبر وكان مرحب شجاعا وأصله من حِمْير فخرج يومئذ يطاب البراز وهو يقول :

قد علمت خيبر أنى مَرحب شاكى السلاح بطَل مجرِّب
أطعن أحيانًا وحينًا أضرب إذا الليوث أقبلت تَحزَّب[1]
إنَّ حِماى للحمى لا يُقَرب

فخرج إليه على وهو يقول :

أنا الذى سمتنى أمى حيدره كليث غابات كَرِيهِ المنظره[2]
أكيلهم بالصاع كيل السندره[3]

والسندرة شجرة يصنع منها مكاييل عظام قاله السهيلى[4] وأما ابن إسحاق فقال إن مرحباً قتله محمد بن مسلمة الأنصارى ، ونقل ابن إسحاق عن سلمة ابن الأكوع قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه برايته البيضاء إلى حصن من حصون خيبر ليفتحه فقاتل بها طول يومه ثم رجع ولم يفتح وقد جهد ، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لَأُعطِينَّ الراية غداً رجلا يحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرَّار . قال سلمة فدعا رسول الله

---

(١) فى الإستيعاب (إذا الحروب أقبلت تلهب) بدل الشطر الثانى .

(٢) فى « اللسان » بدل « كريه المنظر » (غليظ القصرة) .

(٣) فى اللسان (أكيلكم) .

(٤) وفى « اللسان » قيل السندرة : امرأة كانت تبيع القمح وتوفى الكيل . أى « اكيلكم كيلا وافيا » .

صلى الله عليه وسلم علياً وهو أرمد فتفل فى عينه ثم قال خذ هذه الراية وامض بها حتى يفتح الله عليك قال سلمة فخرج بها يهرول وإنا لنتبع أثره حتى ركزها فى رضم من حجارة تحت الحصن فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن فقال من أنت قال على بن أبى طالب فقال اليهودى علوتم وإله موسى قال فما رجع حتى فتح الله عليه ، قال أبو رافع مولى النبى صلى الله عليه وسلم خرجنا مع على فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطاح ترسه من يده فتناول رضى الله عنه باباً كان عند الحصن فترّس به عن نفسه ولم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ قال أبو رافع فلقد رأيتنى فى نفر سبعة معى أناسا منهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه ؛ وهو ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حُنين وكان يقاتل بين يديه وعمه العباس ممسك لجام البغلة .

ومن كلامه فى يوم الجمل قوله : بليت بأنضى الناس وانطق الناس وأطوع الناس وكان يعلَى بن أمية أكثر أهل البصرة مالا وهو الذى جهز أكثر جيش عائشة ومعنى أنضى الناس أكثر الناس مالا ، وأنطق الناس يعنى طلحة رضى الله عنه وكان طلحة من الفصحاء المشهورين ، وأطوع الناس يعنى عائشة لأنها أم المؤمنين ، وجاءه ابن صوحان وهو يتعَس بالليل فقال أتنام يا أمير المؤمنين وأصحاب طلحة قد كشفونا فوثب وقد كان . قال لا تبدؤُهم بالقتال حتى يبدؤكم فأخذ الراية من يد ابنه محمد بن الحنفية وحمل بها وضرب بسيفه حتى انثنى ثم رجع فقوّموه ودفع الراية لابنه وقال هكذا فقاتل لا أمَّ لك وقال فى ذلك اليوم للأشتر وكان على ميمنته أحمل فحمل فكشف مَن بإزائه وقال لهاشم المرقال بن عتبة بن أبى وقاص وكان على ميسرته أحمل فحمل فكشف من بإزائه فقال لأصحابه كيف رأيتم ميمنتى وميسرتى ، وكان رضى الله عنه فى أيام صفين يخرج كل غداة فى سَرَعَان الخيل فيقف بين الصّفين ثم ينادى يامعاوية علامَ يقتل الناس بيننا أبرزلى وأبرز

. . ت فيكون الأمر لمن غلب ، فقال عمرو بن العاص أنصفك الرجل فقال له
معاوية رضى الله تعالى عنه أردتها ياعمرو والله لا رضيت عنك حتى تبارز علياً
فبرز إليه فلما غشيه بالسيف رمى بنفسه إلى الأرض وأبدى سوأته فضرب عليٌّ
وجه فرسه وانصرف عنه فجلس معه معاوية يوما ونظر إليه فضحك فقال عمرو
أضحك الله سنّك ما الذى أضحكك قال من حضور ذهنك يوم بارزت عليا إذ
أتّقيته بعورتك أما والله لقد صادفت منّانا كريماً ولولا ذلك لخزم رفغيك بالرمح
فقال عمرو وأما والله إنى عن يمينك إذ دعاك إلى المبارزة فاحولّت عيناك وربا
سحَرك وبدا منك ما أكره ذكره لك، وبارزه بُسْرُ بن أرطاة من أصحاب معاوية
أيضاً فلما غشيه على بالرمح فعل مثل ما فعل عمرو بن العاص فقال شاعر من
أصحاب على يعير أهل الشام :

أفى كل يوم فارسٌ غيرُ مُنْتَهٍ ... وسوأته تحت العَجاجةِ باديهْ
يكف عُلا عنها (علىّ) سنانَه ... ويضحك منها فى الخلاء معاويه
فقولا لعمرو وابن أرْطاةِ انظرا ... سبيلكما لا تغضبا الليثَ ثانيه
متى تلقيا الخيل المغيرة بالضحى ... وفيها علىٌّ فاتركا الخيل ناحيه

وخطب يوم صِفّين بعد ماقُتل عمّار بن ياسر رضى الله عنه فقال أيها الناس
إن الموت طالب لا يعجزه هارب ولا يفوته مقيم أقدموا ولا تنكلوا فليس عن
الموت محيص والذى نفس ابن أبى طالب بيده إن ضربة بالسيف أهون من
موت الفراش أيها الناس تلقوا السيوف بوجوهكم والرماح بصدوركم وموعدى
وإياكم الرايةُ الحمراء فقال له رجل من أهل العراق ما رأيت كاليوم خطيباً يخطبنا
يأمرنا أن نتلقّى السيوف بوجوهنا والرماح بصدورنا ويعدنا راية بيننا وبينها
مائة ألف سيف وكانت تلك الليلة تسمى ليلة الهرير لقعقعة السيوف فيها
وفى صبيحتها رفع أصحاب معاوية المصاحف على الرماح وطلبوا التحكيم وقد أصبح

رضى الله عنه فى تلك الليلة والمعركة وراء ظهره . قال أبو عبيدة فى التاج جمع على بن أبى طالب رئاسة بنى بكر بن وائل كلها لحُضَين بن المنذر بن الحارث ابن وعْلة وجعل ألويتها تحت لوائه وكانت له راية سوداء يخفق ظلها إذا أقبل فلم يُغْنِ أحد فى صفين غَنَاءه فقال فيه على رضى الله عنه :

لِمَنْ رايةٌ سوداء يُخْفُقُ ظِلها إذا قيل قدِّمْها حُضينُ تقدما(١)

يقدمها فى الصف حتى يَرِدْ بها حياض المنايا تقطر السم والدِّما(٢)

جزى الله عنى والجزاء بكفه ربيعة خيرا ما أعفَّ وأكرما

والمراد بربيعة قبائل ربيعة ومنهم بنو بكر بن وائل وكانت همْدان قاتلت معه فى ذلك اليوم أشد القتال وأروت سيوفها من الدماء فى ذلك المجال فقال يمدحهم :

ولمّا رأيتُ الخيلَ ترجُم بالقنا نواصيها حُمْر النحور دوامى

وأعرَضَ نَقْعٌ فى السماء كأنه عَجَاجة دَجْن مُلْبَس بقتام

ونادى ابن هند فى الكَلاع وحميرٍ وكِنْدَة فى لَخْمٍ وحَىِّ جُذام

تيممْتُ هَمْدَانَ الذين هُمُ هُمُ إذا ناب دهر جُنتى وسهامى

فجاوبنى من خيل هَمْدَان عصبةٌ فوارس من هَمْدَان غيرُ لئام

فخاضوا لظاها واستطاروا شرارها وكانوا لدى الهيجا كشَرْب مدام

فلو كنتُ بوَّابا على باب جنةٍ لقلت لهمْدان ادخلوا بسلام

فهو رضى الله عنه أحد الشجعان المعدودِ كل واحد منهم بألف المذكورين فى نظم الشنقيطى وهو :

---

(١) « حضين » — أى « يا حضين » .

(٢) فى رواية « الكامل » (حتى يردَّها) .

ممن بألف يوزن المقدادُ خارجةٌ عُبادة الآساد
كذا الزبير وعليٌّ أجدر وخالد بالعدِّ ممن ذكروا

وقد ترك كثيرا منهم كما أعترض عليه شارحه مثل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم وأبي دُجانة الأنصاري والبراء بن مالك فإن هؤلاء مثلهم في الشجاعة وستأتي تراجم هؤلاء كلهم إن شاء الله ، ومن كلام علي رضي الله عنه في هذا المقام (من فكر في العواقب لم يشجع) وتوفي رضي الله عنه ليلة السابع عشر من رمضان سنة أربعين من الهجرة شهيدا على يد أشقى الآخرين عبد الرحمن ابن مُلجِم المرادي قتله غِيلة عند باب المسجد عند الفجر ، وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصفا وعمره ثلاث وستون سنة .

أبو عمارة حمزة رضي الله عنه

هو ابن عبد المطلب عمُّ النبي صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة ، أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم، أبو عُمارة وفتىَ قريش ، ولد قبل النبي بسنتين وأسلم في السنة الثالثة من البعثة ولازم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر معه ، وذكر ابن اسحاق في سبب إسلامه أن أبا جهل مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فنال منه بعض ما يكره من العيب لدينه فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومولاة لعبد الله بن جُدْعان التيمي في مسكن لها تسمع ذلك ثم انصرف عنه إلى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشحاً قوسه راجعاً من قَنَص له وكان صاحب قَنَص يرميه ويخرج له وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ثم يمر على نادي قريش فيسلم عليهم ويتحدث معهم وكان أعزّ فتى في قريش وأشد شكيمةً فلما مرّ بالمولاة وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى بيته قالت له يا أبا عُمارة لو رأيتَ ما لقى ابن أخيك محمد من أبى الحكَم بن هشام الآن، وجده جالسا ههنا فآذاه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته فخرج يسعى ولم يقف على أحد مُعِدًّا لأبى جهل إذا لقيه أن يوقع به فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا فى القوم فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضرب به بها فشجّه شجّة منكَرَةً ثم قال أتشتمه فأنا على دينه أقول ما يقول فردَّ ذلك علىّ إن استطعت فقامت رجال من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل دعوا أبا عُمارة فإنى والله قد سبَبْت ابن أخيه سبًّا قبيحا، وتمّ رضى الله عنه على إسلامه فلما أسلم عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عزّ وامتنع، وأن حمزة سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

شهد بدرا وأبلى فيها وكان معلما نفسه بريشة نعام ، وقتل شيبة بن ربيعة وطعيمة بن عدى وشارك فى عتبة ، وقد تقدم فى ترجمة على ابن أخيه أنه هو وعمه حمزة فازا بثلث قتلى المشركين فى ذلك اليوم وعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء وأرسله إلى سِيف البحر من ناحية العيص فى ثلاثين راكبا من المهاجرين فالتقى مع أبى جهل فى ذلك الساحل فى ثلاثمائة من أهل مكة فتصافُّوا للقتال فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى وكان مسالماً للفريقين فانصرف بعضهم عن بعض .

ورايته أول راية عقدها النبى صلى الله عليه وسلم فى الإسلام فى قول المدائنى ولقبه النبى (أسد الله) واستشهد سنة ثلاث من الهجرة بأُحُد فسماه النبى سيد الشهداء ، وقد أثخن فى المشركين فى ذلك اليوم ، قتله وحشىّ غلام جُبَيْر ابن مطعِم كمن له وراء صخرة ـ قال وحشى ـ كنت رجلا حبشياً أقذف بالحربة

قذف الحبشة قلما أُخطيء بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنتظر حمزة وأتبصّره حتى رأيته فى عرض الناس مثل الجمل الأورق يهذ الناس بسيفه هذًّا ما يقوم له شيء فوالله إنى لأتهيأ له فأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو منى إذ تقدمنى إليه سِباع بن عبد العزّى فلما رآه حمزة قال له هلم إليَّ يا ابن مقطعة البظور فضربه فقتله قال فلم يبق بينى وبينه أحد فهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فى ثنته حتى خرجت من بين رجليه وذهب لينوء نحوى فغُلِب فتركته حتى مات ، ثم أتيته فأخذت حربتى ورجعت إلى مكة فاعتقنى سيدى ، ومن شعر حمزة رضى الله عنه يذكر لقاءه أبا جهل وأصحابه فى فى قصيدة تركت أكثرها اختصارا :

عشية ساروا حاشدين وكلنا ... مراجلُه من غيظ أصحابه تَغلى

فلما تراءينا أناخــوا فعقّلوا ... مطايا وعقّلنا مدى غرض النبل

وقلنا لهم حبل الإله نصيرنا ... وما لــكم إلا الضلالة من حبل

فثار أبو جهل هنالك باغيــاً ... فخاب ورد الله كيد أبى جهل

وما نحن إلا فى ثلاثين راكبا ... وهم مائتان بعد واحدة فضلِ

الزبير رضى الله عنه

هو ابن العوام بن خَوَيلِد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَى بن كِلاب القرشى الأسدى أبو عبدالله حوارِيُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ، أمّه صفية بنت عبدالمطلب وخالهُ حمزة ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى وممن يعدُّون بألف فارس كما تقدم فى الرجز ، أسلم وله اثنتا عشرة سنة ، وهاجر الهجرتين ، قال عروة : كان الزبير طويلا تخط رجلاه الأرض إذا ركب ، وقاتل الزبير وهو غلام بمكة رجلا فـكسر يده فمُرَّ بالرجل محمولا على صفية وقيل لها إن ابنك فعل به هذا فقالت للرجل

كيف رأيت الزبير أأقطاً وتمرا أو مشمعلا صقرا، وهو أول من سلّ سيفه فى سبيل الله وذلك أنه قيل أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل الزبير يشق الناس بسيفه والنبى صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة .

وكانت عليه عمامة صفراء يوم بدر معتجراً بها فقال النبى إن الملائكة نزلت على سيماء الزبير وقيل إن آية ﴿ ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾ نزلت فيه وفى المقداد ، وذلك أن قريشا لما أخرجوا خبيب بن عدى إلى التنعيم وصلبوه وتركوه معلقا على خشبة هناك مدة وعنده حرس من فتيانهم فبلغ النبىّ صلى الله عليه وسلم ذلك فقال لأصحابه من ينزل خبيبا من خشبته وله الجنة فقال الزبير رضى الله عنه أنا يارسول الله وصاحبى المقداد بن عمرو فركبا فرسيهما وقدما مكة فوصلا إلى خشبة خبيب ليلا فوجدا عنده أربعين فتى من قريش نائمين فنزل المقداد وأنزل خُبيبا من الخشبة ووضعه أمام الزبير على فرسه وانصرفا راجعين فاستيقظ المشركون من حسّ خيولهم فقاموا إلى الخشبة فلم يجدوا خبيبا فتبعوا أثرهما فلما لحقوهما رمى الزبير خبيبا فى الأرض فابتلعته فلقب خُبيب بليع الأرض . ثم وقفا لهم وكشف الزبير لثامه ، وكان متنقبا وقال لهم ماذا تريدون يامعشر قريش منا أنا الزبير بن العوام وأمى صفية بنت عبد المطلب وخالى حمزة وهذا المقداد بن عمر وصاحبى أسدان رابضان يدفعان عن أشبالهما فإن شئتم ناضلناكم وإن شئتم بارزناكم واحدا واحدا وإن شئتم قاتلناكم جميعا وإن شئتم انصرفتم إلى أهلكم سالمين فانصرفوا راجعين إلى مكة وهم أربعون رجلا أو يزيدون وقدم الزبير ورفيقه المدينة فنزلت الآية فيهم .

ولما انهزمت هوازن يوم حنين خرج مالك بن عوف رئيسهم عند الهزيمة حتى وقف فى فوارس من قومه على ثنيّة من الطريق وقال لأصحابه قفوا حتى تمضى ضعفاؤكم ويلحق أخراكم فوقف هنالك حتى مضى من كان لحق بهم

من المنهزمين فطلعت عليهم خيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومالك وأصحابه على الثنية فقال لأصحابه ماذا ترون فقالوا نرى أقواما واضعى رماحهم بين آذان خيلهم طويلة بِدَادهم فقال هؤلاء بنو سليم ولا بأس عليكم منهم فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادى ومضوا ، ثم طلعت خيل أخرى تتبعها فقال لأصحابه ماذا ترون قالوا نرى قوما عارضى رماحهم أغفالا على خيلهم فقال هؤلاء الأوس والخزرج ولا بأس عليكم منهم فلما انتهوا إلى أصل الثنية سلكوا طريق بنى سليم ثم طلع فارس فقال لأصحابه ماذا ترون قالوا نرى فارسا طويل الباد واضعا رمحه على عاتقه عاصبا رأسه بملاءة حمراء فقال هذا الزبير بن العوام وأحلف باللاَّت ليخالطنَّكم فاثْبُتوا له فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصرهم فصمَد اليهم فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها .

وقتل ياسرا اليهودى يوم خيبر مبارزة ، وياسر أخو مرحب الذى قتله على رضى الله عنه .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق من يأتينى بخبر القوم فقال الزبير أنا فذهب وأتاه بخبرهم فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إن لكل نبى حوارىّ وحوارىّ الزبير .

وقال ابنه عروة كان فى الزبير ثلاث ضربات بالسيف كنت أدخل أصابعى فيها ألعب وأنا صغير ثنتان يوم بدر ، وواحدة يوم اليرموك ، وكان الجيش يوم اليرموك قالوا له احمل يا أبا عبد الله نحمل معك فقال لهم أخاف أن لاتصدقوا فقالوا بلى فحمل فى صفوف الروم حتى خرج من ورائهم ثم كرَّ راجعا ثم حمل ثانيا كذلك ثم حمل ثالثا وفى كل حملة يَقتل . وضُرب فى الثالثة تلك الضربة بين كتفيه .

واستشهد بوادى السباع وهو راجع إلى المدينة قتله عمرو بن جُرموز

السعدى التميمى غدرا وذلك أنه لما التقى الجيشان ناداه علىّ أن أخرج إلى يازبير فخرج اليه فقال له علىّ أنشدك الله أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنك تقاتل عليا وأنت له ظالم قال نعم ولم أذكر ذلك إلى الآن ولوتذكرته ما وصلت هذا المحل ثم انصرف راجعا إلى جيشه وقال لابنه عبد الله قم بجيشك فانى والله ما دخلت فى أمر إلا وخرجت منه إلا فى هذه المرة فانى أخطأت وإنى راجع إلى المدينة فقال له ابنه ما بك من ضعف رأى ولكنك رأيت رماح بنى هاشم طوالا فغضب وقال أجل أتخوفنى بها إنها لرماح حدّاد يحملها فتية أمجاد ثم أقبل نحو جيش على رافعا رمحه فقال أظن الزبير قد أغضب وما قصده قتالكم فنكسوا له الرماح حتى يجوز فنكسوا له الرماح حتى خرج من الجيش فلما وصل وادى السباع نام تحت شجرة هناك فجاءه عمرو بن جُرموز وقتله وهو نائم وأتى بسيفه إلى علىّ يبشره فقال له على أبشر بالنار وستأتى ، ترجمة ولده عبد الله فى الطبقة الثانية من الشجعان .

سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه

هو أبو إسحاق سعد بن مالك بن أُهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كِلاب القرشى الزهرى رضى الله عنه، كان أحد السابقين إلى الاسلام ففى صحيح البخارى عنه أنه قال « لقد مكثت سبعة أيام وإنى لثالث ثلاثة فى الإسلام » وهو أحد الفرسان المعدودين بألف فارس ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة وآخرهم موتا ، وأحد ستة الشورى الذين عيّنهم الفاروق للخلافة وعهد إلى واحد منهم يعينه بقيتهم وقال فى وصيته إن أصابته الإمْرَةُ فذاك و إلا فليستعن به الوالى فانى لم أعزله عن عجز ولا خيانة .

قال ابن اسحاق فى المغازى : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

بمكة يستخفون بصلاتهم فبينا سعد فى شِعب من شِعاب مكة فى نفر من الصحابة إذ ظهر عليهم المشركون فنافروهم وعابوا عليهم دينهم حتى قاتلوهم فضرب سعد رجلا من المشركين بلَحِى جمل فشجَّه فكان أول دم أريق فى الإسلام .

وروى الشيخان والترمذى والنسائى من حديث عائشة رضى الله عنها قالت لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة أرِقَ ليلة فقال ليت رجلا صالحا من أصحابى يحرسنى إذ سمعنا صوت السلاح فقال من هذا قال أنا سعد فقام وفى رواية فدعا له . وروى الترمذى من حديث جابر قال أقبل سعد فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا خالى فليُرِنِى أمرؤ خالَه ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سعد بن أبى وقاص يعدّ بألف فارس أخرجه المُلاَّ فى سيرته .

حضر المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله وذلك فى سريَّة عُبيدة بن الحارث حين بعثه النبى صلى الله عليه وسلم إلى رابغ لتلقى عِير قريش فتراموا بالنَّبل فكان سعد أول من رمى بسهم ، ورامى يوم أُحُد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلقد رأيته صلى الله عليه وسلم يناولنى النَّبل و يقول آرْمِ فِداك أبى وأمى .

وروى البخارى عنه قال نَثَل لى النبى صلى الله عليه وسلم كِنانته يوم أحد فقال أرْمِ فداك أبى وأمى .

وروى الشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه عن على رضى الله عنه ، قال ما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم جمع أبو يه لأحد إلاَّ لسعد بن مالك فإنى سمعته يقول يوم أحد أرْمِ سعدُ فداك أبى وأمى ، ورمى يوم الخندق رجلا من المشركين فوقع السهم فى نحره فوقع مستلقيا و بدت عورته فضحك رسول الله

صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكان هذا المشرك آذى المسلمين يرميهم ويشتمهم حتى رمى أمَّ أيمن بسهم فأصاب ذَيْلها فضحك عليهـا وكانت جاءت تسقى الجرحى .

ولما ملَّـكَتِ الفرسُ يزدجرد ووجه وزيره رستم قائداً لجيش جرّار إلى القادسية لحرب المسلمين وبلغ ذلك الفاروق خرج من المدينة فى عسكر من أكابر الصحابة وغيرهم إلى طريق العراق فاستشار من معه فى الذهاب إلى العراق بنفسه لمحاربة فارس فأشار عليه العامة بذلك وقالوا نحن معك وأشار عليه خواص الصحابة عليٌّ وغيره بإرسال بطل محنَّك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإمداده بالجنود فقال ومن هو فقالوا هو الأسد عادِيا سعد بن مالك وكان سعد عاملا له على صدقات هوازن فبعث إليه فجاءه فولاه قائداً عاما على حرب فارس وأمدَّه بالجنود فثَلَّ عروش فارس بالقادسية وفتح مدائن كسرى عاصمة ملـكهم ودخلها ولما لم يوافق المسلمين هواؤها بنى لهم مدينة الـكوفة بأمر الفاروق وفتح أكثر بلاد فارس ، وثلَّ عروشهم أيضا بجلولاء فقتل منهم بها مائة ألف وكان قائد جيش المسلمين بها ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال بعثه عمه سعد إليهم فى أثنى عشر ألفاً من المسلمين .

وولاه الفاروق على الـكوفة بعد ما بناها فشـكاه أوباشها بَغياً فعزله عنهم وقال فى وصيته بعد طعنه كما تقدم إن أصابت الخلافة سعداً فذاك وإلا فليستعن به من يتولى . فإنى لم أعزله عن عجز ولا خيانة ، وقد ولاه عثمان رضى الله عنه ثم عزله وقد دعا سعد رضى الله عنه وكان مستجاب الدعوة على أولئك الأوباش الباغين عليه فاستجيب له فيهم كلهم ، وقصصهم فى ذلك مذكورة فى كتابى ابن جرير وابن الأثير وغيرهما .

روى الترمذى من حديث قيس بن أبي حازم عنه رضى الله عنه أن النبى

صلى الله عليه وسلم قال اللهم استجب لسعد إذا دعاك فكان لا يدعو إلا استجيب له .

وروى أبو العباس السراج فى تاريخه عن جرير بن عبد الله البَجَلى رضى الله عنه أنه مرَّ بأمير المؤمنين عمر رضى الله عنه فسأله عن سعد بن أبى وقاص فقال تركته فى ولايته أكرم الناس مقدرة وأقلهم قسوة ، هو لهم كالأم البرَّة يجمع لهم كما تجمع الذرة ، أشد الناس عند البأس وأحب قريش إلى الناس وأخرج محمد بن عثمان بن أبى شيبة فى تاريخه بسند جيد عن ابن إسحاق قال كان أشد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عمر وعلىّ والزبير وسعد رضى الله عنهم .

توفى سعد رضى الله عنه بقصره بالعقيق وحمل إلى المدينة على أعناق الرجال فدفن بالبقيع سنة خمس وخمسين للهجرة .

المقداد رضى الله عنه

هو ابن عمرو بن ثعلبة البَهْرانى حليف بنى زهرة كان أبوه عمرو أصاب دماً فى قومه فلحق بحضرموت وحالف كِندة فصار ينسب إليهم وتزوج منهم امرأة فولدت له المقداد فلما كبر المقداد وقع بينه وبين أبى شمّر بن حجر الكندى شرٌ فضرب رجله بالسيف وهرب إلى مكة فحالف الأسود بن عبد يغوث الزهرى وكتب إلى أبيه فقدم عليه وتبنّاه الأسود فصار يقال له المقداد بن الأسود فلما أبطل الله عادة التبنى نسب إلى أبيه .

أسلم قديماً وتزوج ضُباعة بنت الزُّبير بن عبد المطلب ابنة عم النبى صلى الله عليه وسلم ، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله وكان يوم بدر فارساً حتى إنه

لم يثبت أنه كان فيها أحد على فرس غيره[١] ، وهو ممن يوزن بألف ، وتقدمت قصة إنزاله خُبيباً عن خشبته مع الزبير ، ومن مناقبه فى الشجاعة أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما خرج إلى عير أبى سفيان ببدر وسمع بخروج قريش فى جيش لحماية العير استشار الصحابة لأنهم لم يخرجوا على استعداد للحرب وأعلمهم بمسير قريش إليهم فأجابه عمر بن الخطاب وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يارسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ ولـكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خيراً ودعا له ، وكان طويلا آدم كثير الشعر أعين مقرونا يخضب لحيته ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم (إن الله أمرنى بحب أربعة وأخبرنى أنه يحبهم (على) و (المقداد) و (أبو ذر) و (سلمان) أخرجه الترمذى وابن ماجه وإسناده حسن ، ولما أغارت غطفان على إبل النبى صلى الله عليه وسلم بالغابة وتُعرف بغزوة ذى قَرَد وجاء الخبر إلى المدينة كان المقداد رضى الله عنه أول فارس جاء النبى على فرسه ثم تلاه سبعة من الفرسان فأمّر النبى على الثمانية الفوارس سعد بن زيد الأنصارى وقال لهم اخرجوا مسرعين حتى ألحقكم بالجيش وذكره حسان فى شعره فى هذه الغزوة ـ منها :

لولا الذى لاقت ومس نسورها بجنوب (ساية) أمس فى التَّقْوادِ

---

(١) فى مغازى الواقدى « وكان معهم فرسان فرس لمرثد بن أبى مرثد الغنوى وفرس المقداد بن عمرو البهرانى حليف بنى زهرة . ويقال فرس للزبير ولا اختلاف عندنا أن المقداد له فرس وعن ضباعة بنت الزبير زوجة المقداد عن المقداد قال : كان معى فرس يوم بدر يقال له « سبحه » .

لَقِينَكم يحملن كل مدجَّجٍ حامى الحقيقة ماجد الأجداد
ولَسر أولاد اللَّقيطة أننا سلْمٌ غداة فوارس المقداد
كنا ثمانية وكانوا جَحْفَلاً لَجِباً فَشُكُّوا بالرِّماح بَدَادِ

وتوفى سنة ثلاث وثلاثين فى خلافة عثمان بأرضه بالجرف وحمل إلى المدينة فصلى عليه عثمان وعمره سبعون سنة وقد حضر فتح مصر.

خالد رضى الله عنه

هو ابن الوليد بن المغيرة القرشى المخزومى سيف الله أبو سليمان كان أحد أشراف قريش فى الجاهلية وكانت إليه أعنَّة الخيل فيها وشهد مع كفار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية ثم أسلم سنة سبع بعد خيبر وقيل قبلها وحسُن إسلامه وحضر غزوة مؤتة مع زيد بن حارثة فلما استشهد الأمير الثالث أخذ الراية فانحاز بالناس وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة فأبلى فيها وحضر حُنينا والطائف وبعثه النبى إلى أكيدر ملك دُومة الجندل فأسره وأتى به النبى صلى الله عليه وسلم فصالحه على الجزية وعقد له أبو بكر على قتال أهل الردة لواء وقال إننى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سلّه الله على الكفار) فأثر تأثيرا شديدا ، وكان أحد الأساطين الذين رفعوا منار الدِّين فتوجه إلى طليحة الأسدى المتنبى ففضَّ جمعه ، ثم توجه إلى اليمامه ففتحها وقتل مسيلمة الكذاب ، ولما فرغ من اليمامة أمره أبو بكر بالمسير إلى العراق ففتح الحِيرة صلحا وكثيرا من بلدانه عنوة ثم أمره بالمسير إلى الشام مَددا لمن به من الأمراء فحضر اليرموك وفتح دمشق وفقدت منه قلنسوة يوم اليرموك فقال اطلبوها فلم يجدوها فلم يزل حتى وجدها فسئل عن شدة طلبه لها فقال اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم فحلق رأسه فابتدر

الناس شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها فى هذه القلنسوة فلم أشهد قتالا وهى معى إلا تبين لى النصر (أخرجه سعيد بن منصور وأبو يعلى) ، وغزا نصارى بنى تغلب بالجزيرة الفراتية فأثخن فيهم ، ولما كتب له أبو بكر أن يسير إلى الشام مددا لمن هناك أستخلف على عمله بالعراق المثنى بن حارثه الشيبـانى فضبط هذا الأمور وظهرت منه مآثر عظيمة فى الجهاد إلى أن ولى عمر سعد بن أبى وقاص حرب فارس ، وقال رضى الله عنـــه لقد اندق فى يدى يوم مؤته تسعة أسياف فما صبرت معى إلا صفيحة يمانيه ، ولما دخل الحـيرة أتى بسم فوضعه فى راحته ثم سمى الله وشربه فلم يضره (ورواه أبو يعلى والبيهقى وابن سعد وغيرهم) وقال عند موته ما كان فى الأرض من ليلة أحب إلىَّ من ليـلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين أصبِّح بهم العدو فعليكم بالجهاد ، كان سبب عزل عمر له أنه كان إذا صار إليه المال قسمه فى أهل الغنائم ولم يرفع إلى أبى بكر حسابا وكان فيه تقدُّم على أبى بـكر يفعل أشياء لا يراها أبو بكر وقال عمر معتذرا عن عزله ما عزلته عن خيانة ولـكن أشفقت على المسلمين من تهوره وإقدامه ، وتوفى سنة إحدى وعشرين فى خلافه عمر ، وقد قال أيضا متحسرا على موته على فراشه ومتمنيا الموت تحت ظلال السيوف لقد حضرت كذا وكذا زحفا فى الإسلام ما فيه زحف إلا وضربت فيه بسيف أو طعنت برمح وما رأيت قوما أضرب بالسيوف وأصبر على الموت من بنى حنيفة وها أنا أموت اليوم على فراشى كما تموت العنز فلا نامت أعين الجبناء ، وقال لقد طلبت الموت فى مظانِّه فلم يقدر لى إلا أن أموت على فراشى وما من عمل شئْ أرجى عندى بعد لا إله إلا الله من ليلة بتها وأنا متترس والسماء تُهلنى تمطر إلى الصبح حتى نغير على الـكفار ثم قال إذا أنا مت فانظروا فى سلاحى فاجعلوه عُدة فى سبيل الله ، وأوصى إلى عمر ومات بحمص من أرض الشام فبـكى

نساء بنى المغيرة بالمدينه عليه فنهاهن أحد الصحابه فقال عمر دعهن يَسفَحن دموعهن على أبى سليمان ما لم يكن نقعا أو لقلقة .

خارجة رضى الله عنه

هو ابن حذافة بن غانم القرشى العدَوى من بنى عدىٍّ بن كعب من رهط عمر بن الخطاب رضى الله عنهما أسلم خارجة يوم الفتح ، أحد الفرسان المشهورين ممن يعدُّ بألف كما تقدم فى الرجز ، ولما غزا عمرو بن العاص مصر استمد عمرَ فأمدَّه بعبادة بن الصامت الأنصارى وخارجة هذا وكتب إليه قد أمددتك بألفى فارس ، سكن مصر ولما تولى عمرو بن العاص مصر من قِبَل معاوية جعله على شرطته وحين تآمر الخوارج الثلاثة على قتل على ومعاوية وعمرو بن العاص جاء الذى أراد قتل عمرو فصادف عمراً مريضا فى تلك الليلة ولم يخرج إلى الصلاة واستناب خارجة هذا فضربه الخارجى فقتله فأمسك وأتى به عمرو فسمعهم يخاطبون عمرا فقال لم أقتل عمرا قالوا بل قتلت خارجة فقال أردت عمرا وأراد الله خارجة فذهبت مثلا .

ضِرار رضى الله عنه

هو ابن الخطاب بن مرداس القرشى الفِهرى أحد الفرسان المشهورين والشعراء المجيدين لم يكن فى قريش أشعر منه بعد أبى طالب ، و بعده ابن الزِّبعرَى وكان أبوه الخطاب فارس بنى فهر وسيدهم فى الجاهلية أسلم يوم الفتح ، وكان فى الوقائع التى قبله قاتل المسلمين أشد القتال ، وكان يقول بعد الإسلام للمسلمين ممازحا لقد زوجت عشرة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بالحور العين وله ذكر فى أحُد والخندق(١) وحضر فتوح فارس فكان له فيها المآثر

(١) وهو أحد الأربعة الذين وثبوا الخندق .

العظام وأخذ راية كسرى العظمى يوم القادسية وقتل صاحبها فعوّضه عنها الفاروق ثلاثين ألفا ، وكان طول هذه الراية اثنى عشر ذراعا فى عرض ثمانية ، وكانت من جلد النمور مرصعة ، ومن شعره وقد مر على دوس وكان أبو أزيهر الدوسى قتله هشام بن الوليد القرشى أخو خالد فبلغ قومه دوسا فوثبوا على ضِرار بن الخطاب ليقتلوه فسعى حتى دخل بيت أم غَيلان امرأة منهم فعاذ بها فأجارته ونادت قومه فمنعوه فقال فى ذلك :

جزى الله عنى أم غيلان صالحا ونسوتَها إذهُنّ شُعْثٌ عواطل
وعَوْفاً جزاه الله خيرا فما ونَى وما بردت منه لدى المفاصل

وعوف ولدها وقال يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ويستعطفه :

يانبى الهدى إليك لجا جى قريشٍ ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الأ أرض وعاداهمُ إلهُ السماء
والتقت حَلْقتا البِطان على القو م ونودوا بالصيلم الصلعاء
إن سعدا يريد قاصمة الظهـ ر بأهل الحجُون والبطحاء
خزرجى لو يستطيع من الأمـ ر رمانا بالنسر والعوّاء(١)

هاشم المرقال رضى الله عنه

هو ابن عتبة بن أبى وقاص القرشى الزهرى ابن أخى سعد بن أبى وقاص الشجاع المشهور المعروف بالمرقال لقب بالمرقال لأنه كان يرقل فى الحرب أى يسرع والإرقال نوع من العدوِ لقبّه النبى صلى الله عليه وسلم بذلك . أسلم يوم الفتح وحضر مع عمه حرب الفرس بالقادسية ، وكان بالشام مع من يقاتل

---

(١) راجع بقية القصيدة فى « الاستيعاب » لابن عبد البر .

الروم فحضر اليرموك وفقئت عينه فيها فلما استمد سعدٌ عمرَ كتب عمر إلى خالد بالشام أن أرسل هاشم بن عتبة فى ثلاثة آلاف من المسلمين إلى العراق مددا لسعد فأرسله فوصل فى اليوم الثانى من أيام القادسية والمسلمون مشتبكون مع فارس فلما دنا منهم عبّأ أصحابه مائة مائة وأرسل القعقاع بن عمرو التميمى فى مقدمته فطلعت مائة على المسلمين كالخيط الممتد حتى إذا تم آخرها تلتها مائة أخرى وهكذا حتى انتهوا فتقوّى بهم المسلمون ونشِطوا وكانت له بها آثار مذكورة ، ولما فرغ سعد من القادسية وتوجه إلى مدائن كسرى أرسله فى مقدمته فتعرض أسدٌ على عقَبة من الطريق ، وكان هاشم متأخرا فأحجم الجيش فجاء هاشم فقال مالكم قالوا أسد منعنا الطريق فأخذ السيف وتقدم إليه فضرب به على هامته فقتله فمرّ الجيش فلما جاء سعد أخبر بذلك فقبّل رأس هاشم وقبّل هاشم رجليه ففتحها ومكث بها ينتظر أمر عمر فاجتمعت جموع عظيمة من فارس بجلولاء فكتب سعد إلى عمر يخبره بذلك فكتب إليه عمر أن أرسل ابن أخيك هاشما فى اثنى عشر ألفا من المسلمين فعقد له عمه اللواء وأمّره على العدد المذكور فسار إليهم ففضّ جمعهم وأباد أكثرهم وقتل منهم أكثر من وقعة القادسية ويقال إن الذى قتل منهم بجلولاء مائة ألف ولذلك سميت الوقعة جلولاء لتجلُّل القتلى فيها أى تراكم بعضهم على بعض وقد وصفها بعض شعراء المسلمين مع نهاوند بقوله :

ولو شهدت يومى جلولاء حربَنا ويوم نهاوند المهول استهلّتِ

ولما بلغ أهل الكوفة قتل عثمان رضى الله عنه قال هاشم بن عتبة لأبى موسى الأشعرى وكان أبو موسى عاملا لعثمان على الكوفة ياأبا موسى بايع لخير هذه الأمة عليًا فقال له أبو موسى لا تعجل فوضع هاشم يده على الأخرى وقال هذه لعلى وهذه لى وقد بايعت عليا وأنشده :

أبايع غير مكترث عليا ولا أخشى أميراً أشعريا
أبايعه وأعلم أن سأُرضِى بذاك الله حقا والنبيا

وحضر مع على رضى الله عنه الجمل وصِفِّين واستشهد بها وأعطاه على الراية يوم صِفين فزحف بها وهو يقول :

أعور يبغى أهله محلا قد عالج الحياة حتى ملاَّ
لابد أن يَفُلّ أو يُفَلا

فقال معاوية لعمرو بن العاص ياعمرو هذا المرقال والله إن زحف بالراية زحفا إنه ليوم أهل الشام الأطول ولكنى أرى ابن السوداء إلى جنبه يعنى عماراً وفيه عجلة فى الحرب فأرجو أن تقدمه إلى الهلكة وجعل عمارٌ يقول لهاشم تقدم ياأبا عتبة فيقول له هاشم ياأبا اليقظان أنا أعلم منك بالحرب دعنى أزحف بالراية زحفا فلما أضجره وتقدم أرسل معاوية خيلا فتخطَّفوا عمارا فكان يسمَّى أهل الشام قتلَ عمار فتح الفتوح وقاتل بعده هاشم قتالا شديداً حتى صرع ، وضربه رجل من أهل الشام على رجله فقطعها فضربه هاشم بها فصرعه وجعل يقاتل من دنا منه وهو بارك ويقول (الفحل يحمى شوله معقولا) حتى قتل ورثاه أبو الطفيل عامر بن واثلة بقوله :

يا هاشم الخير جزيت الجنه قاتلت فى الله عدوّ السنّهْ
أفلح بما فزت به من مِنّهْ

وكانت إحدى عينيه ذهبت فى جهاد الروم فلذلك ذكرها فى شعره .

الأنصار

وهم بنو الخَزْرج وبنو الأوْس ، والخزرج والأوسُ أخوان وأمهما قَيلة واشتهر أبناؤهم ببنى قَيلة وأبوهما حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزَيقِيا بن عامر الملقب

ماء السماء ابن حارثة بن أمرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ويقال بالسين بن الغوث فنسبهم يرجع إلى الأزد من قحطان قال حسان بن ثابت :

إما سألت فإنا معشرٌ نُجُبٌ   الأزدُ نسبتُنا والمـــاء غسَّانُ

خرج جدُّهم عمرو بن عامر من اليمن عندما رأى الجُرَذَ يحفِر فى سدِّ مأرب الذى كان يحبس عليهم المـاء فيصرِّفونه حيث شاءوا من أرضهم فعلم أن لا بقاء للسدِّ على ذلك فعزم على الانتقال عن اليمن فـكاد قومه فأمر أصغر بنيه إذا أغلظ عليه ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه ففعل ابنه ما أمره به فقال عمرو لا أقيم ببلد لطم وجهى فيه أصغر ولدى ، وعرض أمواله فقال أشراف اليمن اغتنموا غضبة عمرو بن عامر فاشتروا منه أمواله وانتقل فى ولده وولدولده فقالت الأزد لا نتخلف عن عمرو بن عامر فباعوا أموالهم وخرجوا معه فخرِب السدُّ بعدهم وانفجر سيله على أهل تلك البلاد فغرق أكثرهم فلما وصلوا الحجاز تفرقوا فنزلت خُزَاعة مَرَّ الظهران المعروف الآن بوادى فاطمة قرب مكة ونزلت الأوس والخزرج المدينة ، وذهب آلُ جفنةَ بن عمرو بن عامر إلى الشام فسكنوها وصارت لهم دولة هناك ، و يقال فى القحطانيين عموماً حميرُ أقيالُها وملوكها ، وكِنْدَة ريحانتها ومَذْحِج عددها ولسانها يعنى اليمن كلها ، ولما نزل الأوس والخزرج المدينة وجدوا يهود قينقاع والنَّضير وقُريظة متوطنين بها قبلَهم فنزلوا معهم وحالفوهم فـكانت السيطرة فى بدء الأمر لليهود عليهم ثم رجعت الغلبة للأنصار على اليهود فغلبوهم على أكثر مزارع المدينة وكثروا بها .

وكان تُبّع اليمانى لمـا غزا فارس والترك فى الجاهلية مرَّ على المدينة فترك ابنه عند الخزرج فلما ذهب قتلوه فلما رجع من غزوه وسمع بفعلهم نزل عليهم وحاربهم فـكانوا يحاربونه بالنهار ويَقرُونه بالليل فيعجبه ذلك منهم و يقول والله إن قومنا لـكرام فبينما هو يقاتلهم يوما إذ جاءه حَبران من علماء اليهود

فنهياه عن قتالهم وقالا لا تفعل أيها الملك فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فقال لهما ولمَ ذلك فقالا إنها مهاجَر نبيٍّ يخرج من الحرم من قريش تكون داره وقراره فانتهى عن ذلك وانصرف عن المدينة إلى بلاده بعد أن تهوّد .

وكان بدء إسلامهم فى السنة الحاديةَ عشرةَ من البعثة قدم منهم ستة نفر حُجاج من الخزرج فدعاهم صلى الله عليه وسلم فيمن دعا من القبائل فأجابوا حالاً وواعدوه العام المقبل وقالوا له يارسول الله إنا تركنا قومنا على عداوة وإنْ يجمعهم الله عليك فلا أحد أعز منك ، ثم جاءه فى السنة الثانيةَ عشرةَ اثنا عشر رجلا اثنان من الأوس وعشرة من الخزرج فبايعوه على السمع والطاعة بلا قتال وأرسل النبى معهم مُصعَب بن عُمير وعبد الله بن أم مكتوم يعلّمانهم ويصلّيان بهم ، ثم جاءه فى السنة الثالثةَ عشرةَ ثلاثة وسبعون رجلا وواعدوه الليلة الثانية من ليالى مِنًى ليلا لئلا يشعر بهم مشركوهم ، ثم لما جاء الليل خرجوا لميعاد رسول الله يتسلّلون حتى اجتمعوا عند الشِّعب وراء العقبة الكبرى فجاءهم النبى ومعه عمه العباس بن عبد المطلب . وكان إذا ذاك على دين قريش ولكن حضر أمرَ ابن أخيه ليتوثق له فتكلم وقال يا معشر الخزرج إن محمداً منّا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه فهو فى عِزٍّ ومنَعة من قومه فى بلده وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن أراده فأنتم وما تحمّلتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه فإنه فى عزٍّ ومنَعة من قومه وبلده فقالوا له قد سمعنا ما قلت يا أبا الفضل فتكلم يا رسول الله فخُذْ لنفسك وربّك ما أحببت فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب

في الإسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فأخذ البراء بن معرور بيده وقال نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يارسول الله فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر فقال النبي أخرجوا إليّ منكم اثنى عشر نقيبا ليكونوا كفلاء على قومهم ففعلوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم للنقباء أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم وأنا كفيل على قومى يعنى المسلمين من المهاجرين فقالوا نعم قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصارى يا معشر الخزرج هل تدرون علامَ تبايعونه قالوا نعم قال إنكم تبايعونه على حرب الأحمر ، والأسود من الناس فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبةً وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزيُ الدنيا والآخرة وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة فقالوا : فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يارسول الله . إن نحن وفّينا قال الجنةُ قالوا أبسط يدك فبسط يده فبايعوه ، ثم قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أرفضّوا إلى رحالكم فقال له العباس ابن عُبادة ابن نضلة والذى بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم .

وهذا غايةٌ منهم رضى الله عنهمْ فى النجدة وكمال الإيمان فإن مَن بمنى حجيج كثير من جميع قبائل العرب يريدون أن يقاتلوهم بهذا العدد القليل .

وقد وفوا رضى الله عنهم فخاضوا معه غمار الحرب وركبوا إليها كل ذلول وصعب ، وأزاحوا عن سبيل هذا الدين كل عقبة وكرب فسماهم الله بالأنصار وأثنى عليهم بمحبتهم من هاجر إليهم وبعدم حسده على ما أوتى وبالايثار وجزاهم الله جزاء الأبرار وأسكنهم الفردوس الأعلى دار القرار .

قال ابن عباس رضى الله عنهما ما استلت السيوف ولا زحفت الزحوف ولا أقيمت الصفوف حتى أسلم ابنا قَيْلة يعنى الأوس والخزرج .

ولما اجتمعت الأحزاب من قبائل العرب وحاصروا المدينة مع قريش فى غزوة الخندق أشفق النبى صلى الله عليه وسلم على المسلمين فرأى أن يخفف عنهم بعض هذا الجيش فأرسل إلى عيينة بن حصن الفزارى والحارث بن عوف المرى وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بقومهما عنه وعن أصحابه فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة فى ذلك فلما أراد أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج فذكر ذلك لهما واستشارهما فقالا له يا رسول الله أمراً نحبه فنصنعه أم شيئاً أمرك الله به لابدَّ لنا من العمل به أم شيئاً تصنعه لنا قال بل شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلا لأنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وتألبوا عليكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر مّا فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة واحدة إلا قِرًى أو بيعاً أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزّنا بك وبه نعطيهم أموالنا والله مالنا بهذا من حاجة لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت وذاك فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة ثم قال ليجهدوا علينا .

ولما سار صلى الله عليه وسلم إلى قافلة قريش ووصل قرب بدر فبلغه أن قريشا خرجوا فى جيش لمنع قافلتهم استشار أصحابه لأنه ما خرج بهم إلا للعِيْر ولم يكونوا على استعداد فأجابه عُمر والمقداد من المهاجرين كما تقدم فى ترجمة المقداد فكرر الاستشارة يريد جواب الأنصار لأنهم أكثر ذلك الجيش ولأنهم

بايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم فى ديارهم وقالوا له قد برئت ذمتنا منك يارسول الله حتى تصل ديارنا نخاف ألا يقاتلوا معه خارج المدينة فقال له سعد بن معاذ والله كأنك تريدنا يا رسول الله فقال أجَل قال فقد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض بنا يا رسول الله لما أردت فنحن معك والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ماتخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصُبُر فى الحرب صُدُق فى اللقاء لعل الله يريك منا ما تقَر به عينك فسر بنا على بركة الله فسُرَّ رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقول سعد ونشَّطه ، ثم قال سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنِّى الآن أنظر إلى مصارع القوم .

وبالجملة فإن مزايا الأنصار لا تستقصى ، ولو كُلِّف القلم بِعدِّ فضائلهم لتعب فى الإحصا ، رضى الله عنهم أجمعين .

عبادة رضى الله عنه

هو ابن الصامت الخزرجى أبو الوليد أحد النقباء ليلة العقبة والشجعان المعدودين بألف فارس حضر بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر مع عمرو بن العاص وقد تقدم أن عمراً استمد عمر بن الخطاب فأمدَّه بصاحب الترجمة وخارجة بن حُذافة القرشى المتقدم وقال له قد أمددتك بألفى فارس .

سكن فلسطين من أرض الشام وتولى قضاءها وكان أحد الصحابة المعلِّمين هناك وجرت له قصص مع معاوية فى الأمر بالمعروف تدل على قوته فى دين الله وكان يزيد بن أبى سفيان كتب إلى أمير المؤمنين عمر ، قد احتاج أهل الشام

إلى من يعلّمهم القرآن ويفقّههم فأرسل الفاروق عُبادة هذا ومعاذَ بن جبل وأبا الدرداء رضى الله عنهم .

ومن مناقبه ما ذكره ابن اسحاق فى المغازى قال لما حارب بنو قينقاع بسبب ما أمرَهم عبدُ الله بن أبى وكانوا حلفاءه مشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له من الحِلف مثل الذى لعبد الله ابن أبى فخلعهم وتبرأ إلى الله ورسوله من حِلفهم فنزلت ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى ﴾ الآية وتوفى رضى الله عنه سنة أربع وثلاثين .

أبو دجانة رضى الله عنه

هو سماك بن خَرَشَة[1] الأنصارى الخزرجى أحد الشجعان المشهورين قال الشنقيطى فى نظم أنساب العرب .

أبو دُجانة الشجاعُ المنتخَبْ من قَيلة أحد فرسان العرب

شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من يأخذ هذا السيف بحقه فقام إليه رجال من الصحابة منهم الزبير فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانة فقال وما حقُّه يارسول الله ؟ قال أن تضرب به العدوّ حتى ينحَنِى قال أنا آخذه يارسول الله بحقه فأعطاه إياه فاعتصب بعِصابة حمراء وكان إذا لبسها قالت الأنصار قد لبس أبو دجانة عمامة الموت فجعل يتبختر بين الصفين فقال النبى صلى الله عليه وسلم إنها لمشية يُبغِضها الله إلا فى مثل هذا الموطن قال الزبير بن العوام

---

(١) فى القاموس وفى تاج العروس « سماك بن أوس بن خرشة » .

وجدت فى نفسى حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة وقلت أنا ابن عمته وقريبُه وسألته إياه قبله فتركنى وأعطاه له والله لأنظرُن ما يصنع فاتَّبعته فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه وخرج وهو يقول :

أنا الذى عاهدنى خليلى ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر فى الكَيُّول أضربُ بسيف الله والرسولِ

والكيول آخر الصفوف فلما اقتتل الناس وحميت الحرب قاتل قتالا شديدا حتى أمعن فى الناس فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله وكان فى المشركين رجل لا يدع لنا جريحا إلا ذَفَّفَ عليه فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتّقاه بدَرَقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته قد حمل السيف على رأس هندٍ بنت عُتبة امرأةِ أبى سفيان ظانا أنها رجل لأنها كانت تضرب المسلمين بعمود فى يدها فولولت فعدَل عنها قال الزبير فقلت له لِمَ لمْ تضربها فقال أكرمت سيفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضربَ به رأس امرأة[1] واستشهد يوم اليمامة بعد أن أبلى بلاءً عظيما ، وكان بنو حنيفة لما انهزموا دخلوا حديقة لهم تعرف بحديقة الموت وقفلوا باب السور فلم يجد الصحابة منفذاً للدخول عليهم فقال لهم أبو دجانة أصعدونى على السور حتى أفتح لكم فألقى نفسه ودخل السور وقاتلهم وحده حتى وصل الباب وفتحه فدخل الصحابة فوجدوه مقتولا وحوله جماعة من بنى حنيفة مقتولين وهو الذى شارك وحشِيا فى قتل مسيلِمة الكذابِ فى قول .

(١) فى مغازى الواقدى أن المرأة هى عمرة بنت الحارث .

البراء رضى الله عنه

هو ابن مالك بن النضر أخو أنس بن مالك خادِم النبيِّ صلى الله عليه وسلم من أبيه الشجاعُ الباسل والغضنفر الصائل شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدا بدرا ، وكان رضى الله عنه إذا اشتبكت الحرب تأخذه نُفْضَةٌ شديدة فيبرك عليه رجال حتى يسكن ثم يقوم فيبول دماً ويَهجِم على العدوِّ مثل الأسد فيحصد كل من دهمه .

ولاَّه خالد بن الوليد يوم اليمامة على الخيل ثم عزله وجعله على الرَّجالة وولى على الخيل أسامة بن زيد فلم يغن غَناءه فلما اشتد البأس وانهزم الأعراب بالصحابة ناداه خالد أن اركب فى الخيل يا براء فقال له أين الخيل الآن وقد عزلتنى وتشتت الناس فقال خالد أركب ليس هذا بوقت عتاب فركب وطلع على رَبْوة ونادى يا خيل الله ويا لَلْمهاجرين والأنصار إلىَّ أنا البراء بن مالك فثابت إليه الخيل من كل ناحية قائلين لبيك لبيك فحمل بهم على بنى حَنيفة حملة ضعضعهم بها وفعل أفعالا عظيمة فى ذلك اليوم ودخل حديقة الموت على مسيلمة ويقال هو الذى قتله وجرح فى ذلك اليوم جراحات عظيمة فجلسوا يداوونه شهراً .

وحضر فتوح فارس وكان له بها اليد البيضاء واستشهد بحصن « تستر » .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (رب أشعث أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرّه منهم البراء بن مالك) فلما كان يوم تستر انكشف المسلمون فقالوا يا براء اقْسِم على ربك فقال اقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتنى بنبيك وقتل فى هذا اليوم مائة مبارزة ثم حمل فحمل الناس معه فقتل مَرْزُبان الزَّأْرة من عظماء الفرس وأخذ سلَبه فانهزم الفرس واستشهد هو رضى الله عنه وذلك فى خلافة عمر .

بعض الشجعان من سائر قبائل العرب

القَعقاع بن عمرو التميمى

أخو عاصم كان من الشجعان المشهورين والفرسان المعدودين ، كان أبو بكر رضى الله عنه يقول لَصوت القعقاع فى الجيش خيرٌ من ألف رجل وله فى قتال الفرس بالقادسية وغيرها بلاء عظيم ومن شعره :

واقد شهدت البرقَ برقَ تِهامةٍ يَهدى المثاقب راكباً لتعار(١)

فى جند سيف الله سيف محمد والسابقين لِسنَّةِ الأحرار

فكتب عمر إلى سعد أىُّ فارسٍ أفرسَ فى حرب القادسية فكتب إليه سعد إنى لم أر مثل القعقاع بن عمرو حمل فى يوم ثلاثين حملة فى كل حملة يقتل بطلا .

قال ابن عساكر يقال أن له صحبة كان أحد فرسان المسلمين وشعرائهم شهد فتح دِمَشق وأكثرَ فتوح العراق وله فى ذلك أشعار مشهورة وحينما اجتمعت الفرس على حرب العرب بالقادسية وحشد لهم عمر قبائل العرب أرسل إلى خالد بن الوليد أن أرسل جمعا من جيشك إلى العراق وأمِّر عليهم هاشم بن عتبة وقد تقدم فى ترجمته وأن القعقاع كان على مقدمته ، وكان المسلمون فى اليوم الأول من أيام القادسية تعِبوا تعباً شديداً من جهة الفِيَلة التى كانت مع فارس لِنُفور خيل المسلمين منها فلما جاء القَعقاع فى اليوم الثانى من أيام القادسية قال له سعد دبِّر لنا حيلة فألبسَ الجمال جِلالا وأرسلها على خَيْل الفرس فنفرت منها نخاف الرجال بعضهم إلى بعض ثم حملت الفِيَلة على المسلمين

---

(١) تعار : جبل ببلاد قيس .

فآذتهم وكان فيلٌ أبيض وآخرُ أجرب قائدين لتلك الفِيلَة كلها تُقدِم بإقدامهم وتتأخر بتأخرهما فقال سعد رضى الله عنه للقعقاع وحمال بن مالك الأسدى دبِّرا حيلة فى هذين الفيلين فقال القعقاع أنا وأخى عاصم نكفيك الفيلَ الأبيض وحمال بن مالك وأخوه يكفيانك الفيل الأجرب فتقدم القعقاع وأخوه إلى الأبيض فطعنه عاصم بالرمح فى عينه وضربه القعقاع بالسيف على خُرطومه فقطعه وفعل حمال بن مالك وأخوه فى الأجرب مثل ذلك فعَوَى الفيلان وألقيا ما على ظهرهما من الرجال والصناديق فطحنَاهم وأدبرَا هاربين نحو النهر ودماؤهما تسيل فلما رأت سائر الفيلة ذلك فعلت مثلَ فِعلهما وتبعتْهُما فتنفست الشِّدة عن المسلمين بسبب فِعل القَعقاع رضى الله عنه وخلَصوا إلى عدوِّهم فهزموهم وكان على كردوس فى فتح اليرموك وهو القاتل .

يَدعُون قَعقاعا لكل كريهة فيجيب قَعقاعٌ دعاءَ الهاتِف

واستمد خالد أبا بكر لما حاصر الحِيرَة فأمدَّ بالقعقاع وقال لا يهزم جيش فيه مثله وهو الذى غنِم فى فتح المدائن أدراعَ كِسرى وكان فيها دِرع لهرقل ودِرع لخاقان ودِرع للنعمان بن المنذر وسيفه وسيف كسرى فأرسلها إلى سعد .

قيس بن مكشوح

هو قيس ابن هبيرة الملقب مكشوح المرادى أبو شداد من بَجِيلة[1] ونسب إلى مُراد لأنه حالفهم ، أسلم فى حياة النبى وشارك فى قتل الأسود العنسى الذى ادّعى النبوة ، ثم ارتد ثم رجع إلى الإسلام وهاجر وحضر اليرموك بالشام وكان

---

(١) حى باليمن من معد والنسبة بجلى محركة اهـ .

يومَه على شَطْر الخيل ، وخالد بن الوليد على الشطر الثانى وله فى فتوح العراق آثار شهيرة فى القادسية ، وفى فتح نهاوند ، وغيرها وكان فارسا شجاعا شاعراً وهو ابن أخت عمرو بن معد يكرب وكانا متباعدين وقد تقدم لنا ذكره فى ترجمة عمرو وهو القائل لعمرو .

فلو لاقيتنى لَلَقِيتَ قِرْنا   وودَّعتَ الأحبةَ بالسلامِ

وهو المراد بقول عمرو :

أريد حياته ويريدُ قتلى   عَذيرَكَ من خليلك مِنْ مُرادِ

قال أبو عمر قتل بصِفِّين مع على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكان سبب قتله أن بَجيلة قالوا له يا أبا شداد خذ رَايَتَنَا اليوم فقال غيرى خير لكم فقالوا ما نريد غيرك قال فوالله إن أخذتها لا أنتهى بكم دون صاحب التُّرس المذهَّب ، وكان مع رجل على رأس معاوية فأخذ الراية وحمل حتى وصل إلى صاحب الترس فاعترضه رومى لمعاوية فضرب رجله فقطعها وأُشرِعت إليه رِماح أصحاب معاوية فصُرِع ، وأمَّره سعد بن أبى وقاص فى فتوح العراق على سَرِيَّة ، وكان فيها عمرو بن معد يكرب فغضب عمرو من ذلك .

المثنى بن حارثة الشيبانى

هو الشجاع المذكور والغضنفر المشهور سيد بنى بكر بن وائل وفارسهم ، كان فى أول الإسلام يغير على سواد العراق ويُنْكِى فارسَ فى خلافة أبى بكر فبلغ أبا بكر خبره فقال من هذا الذى تأتينا وقائعه قبل معرفة نسَبه فقال له عمر مثلُ هذا لا يُجهل هذا المثنَّى بن حارثة سيد بنى بكر بن وائل ، ثم قدم على أبى بكر بعد أن دان له أكثر سواد العراق بدون إمارة فقال ياخليفة رسول الله ابعثنى على قومى فإن فيهم إسلاما أقاتل بهم أهلَ فارس وأقتل أهل ناحيتى

فأمّره أبو بكر فقدم العراق فقاتل وأغار على أهل السواد وفارس ، وبعث أخاه مسعوداً إلى أبى بكر يسأله المدَد فأمدَّه بخالد بن الوليد فكان ذلك ابتداء فتوح العراق ، وكان شهما شجاعاً ميمون النقيبة حسن الرأى أبلى فى حروب العراق بلاءاً لم يبله أحد ومات قبل وقعة القادسية من جراحات أصابته يوم الجسر وذلك أن فارس جمعوا جمعا عظيما وأرادوا غزو المسلمين فكتب المثنَّى إلى عمر يخبره بذلك فاستنفر عمرُ الناس فخرجوا للجهاد وأمَّر عليهم أبا عبيد الثقفى فلما جاء العراق وافى وصول جيوش الفرس فخيروا المسلمين فى الجواز إليهم أو المكث بمكانهم فاختار أبو عبيد الجواز إلى الفرس فنهاه المثنَّى وقال دَعْهم هم الذين يجوزون إلينا فهو أحسن لنا وأمكن للقتال وأوسع للمجال لأن خيلنا لم تعهد الفِيلَة وأخاف أن تنفر منها وكذلك أشار عليه جمع من الصحابة فلم يسمع كلامهم وجاز إلى فارس فالتقى الجيشان واقتتلوا فنفرت الخيلُ من الفِيلَة ودهمَتْهم فقُتِل أبو عبيد واستشهد من المسلمين أربعة آلاف وازدحم المنهزمون على النهر حتى غرِق بعضهم فوقف المثنَّى خلفَهم وناداهم أن أعبروا على رسْلِكم ولا تزدحموا فإنى رِدْءٌ لكم وحامَى عنهم حتى ردَّ الفرس إلى مواقفهم بعد أن جرح جراحات عظيمة فبقى مريضا منها حتى توفى رضى الله عنه قبل وصول سعد بن أبى وقاص إلى العراق فلما وصل سعد تزوج امرأة المثنى وولَّى أخاه المعنَّى بن حارثة مكانه .

طليحة بن خويلد

هو الشجاع المشهور وفَدَ على النبى صلى الله عليه وسلم هو وجماعة من قومه فقال له أتيناك نتدرَّع الليل البَهيم فى سنة شهباء ولم تَبْعث إلينا بعثا فنزل فيهم ﴿ يمُنُّون عليك أن أسلموا ﴾ الآية ، ثم ارتدّ طُلَيحة قبيل وفاة النبى وأدّعى النبوة وكان كاهنا فى الجاهلية فصار يسجَع لقومه الأسجاع فتبعوه هم

وقيس من غطفان فأرسل له أبو بكر خالد بن الوليد فى جيش من المسلمين وأرسل خالد أمامه طليعة عُكاشة بن محصن الصحابى المشهور وثابت ابن أقرم حليف الأنصار فوقعا على جيش لطليحة وهو معهم فاقتتلا معهم فاستشهدا فقال فى ذلك طليحة مفتخراً بقتله عكاشة وثابتا .

فما ظنكم بالقوم إذ تقتلونهم ... أليسوا وإن لم يسلموا برجال

فإن تك أذوادٌ أصِبْنَ ونسوة ... فلن يذهبوا فِرْغاً بقتل حبال(١)

نصبت لهم صدرَ الحبالة إنها ... مُعوَّدة قيل الكُماة نَزَالِ

فيوما تراها فى الجِلال مصونةً ... ويوما تراها غيرَ ذات جِلال(٢)

عشية غادرت ابنَ أقرم ثاويا ... وعكاشة الغُنْمِيَّ عندَ مجالِ

فلقيهم خالد فهزمهم وهرب طليحة إلى الشام ثم تاب وأسلم فى خلافة عمر وقدم مُحرِما بالحج فرآه عمر فقال له إنى لا أحبك بعد قتلك الرجلين الصالحين عكاشة وثابتا فقال طليحة هما رجلان أكرمهما الله بيدى ولم يهنّى بأيديهما وحسن إسلامه وحضر القادسية وفتوح العراق مع المسلمين وذكر له أصحاب المغازى فيها مواقف عظيمة ، وقد كتب عمر إلى سعد بن أبى وقاص أنظر عمرو بن معد يكرب وطليحة فاستعن بهما فى حربك وشاورهما فإن كل صاحب صنعة أعلم بصنعته .

وقال جابر بن عبدالله لقد اتهمنا ثلاثةَ نفر فما رأينا كما هجمنا عليه من أماناتهم وزهدهم طليحة وعمرو بن معد يكرب وقيس بن مكشوح ، وأرسل سعد هؤلاء الثلاثة فى حرب القادسية يستكشفون له العدو فساروا

---

(١) فرغا : فارغين ، حبال : هو ابن أخيه عرض عليه الإسلام وهو شاب فأبى وقال « اقتلونى ولا ترونى محمدكم فإنه لا حاجة لى فيه » فقتلوه .

(٢) فى رواية الواقدى (ويوما تراها تحت ظل عوالى) .

يوما وليلة ولم يروا شيئا فرجع عمرو بن معد يكرب وقيس وقالا لطليحة أرجع فأبى ومضى لحاله بقية يومه فلما جاء الليل وقع على جيش الفرس فانتظر حتى طلع القمر ، ثم دخل جيشهم فنظر إلى خيمة عظيمة فى طرف الجيش لأحد عظمائهم فهجم على الخيمة وقتل صاحبها وأخذ فرسه فقاده ورجع فلحقه ابن عم المقتول وكان بطلا يطلب الثأر فـكرّ عليه طليحة فقتله أيضا وأخذ فرسه فلحقه فارس ثالث فحمل عليه طليحة فصرَعه وأخذه أسيراً وقيده وقدم به مع الفرسين على جيش المسلمين بعد أن ظنوا به السوء لمّا رأوه لم يرجع مع عمرو وقيس وقالوا رجع طليحة إلى الـكفر فقال له سعد ماهذا قال لا تسألنى واسأل هذا الأسيرَ فسألوا الفارسىّ فقال يامعشر العرب مارأيت بطلا أشجع من هذا هجم على جيش كِسرى وحدَه وقتل شجاع فارس وأخذ فرسه فلحقه ابن عم المقتول وهو ليس بدون الأول فى الشجاعة فقتله أيضا ولحقته أنا وأنا أظن نفسى مثلهما فأسَرَنى فما رأيت مثل هذا فشكره سعد واستشهد بنهاوند رضى الله عنه .

بعض الشجعان من أولاد الصحابة والتابعين

عبدالله بن الزبير بن العوام

أبو خُبيب القرشى الأسدى أمه أسماء بنت أبى بكر ولد عام الهجرة وبايع النبى صلى الله عليه وسلم وعمره سبع سنين واحتجم النبى صلى الله عليه وسلم مرة فاعطاه الدم وقال له أهرقه حيث لايراك أحد فلما خرج من البيت شربه فلما رجع قال النبى صلى الله عليه وسلم ماصنعت بالدم قال جعلته فى أخفى مكان علمت أنه يخفى عن الناس فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعلك شربته قال نعم قال (ويل للناس منك وويل لك من الناس لا تمسك النار إلا تحلة القسم) أخرجه أبو يعلى فى مسنده والبيهقى فى الدلائل قال أبو عاصم فـكانوا يرون أن القوة التى كانت به من ذلك الدم .

كان رضى الله عنه أحد الشجعان المعدودين وأحد الفاتحين حضر وقعة اليرموك مع أبيه الزبير وحضر فتح أفريقية مع عبدالله بن أبى سرح أميراً على الجيش ففتحوا طرابلس وتقدموا نحو تونس فحشد لهم جرجير ملك أفريقية جمعاً عظيما وصمد لهم فى مائة ألف ، وكان المسلمون فى عدد قليل فاستشار ابنُ أبى سرح عبد الله بن الزبير فأشار عليه بأن ينتخب عدداً من الشجعان ويتركهم ناحية ويقاتل العدو بباقى الجيش حتى إذا اشتد القتال واختلطت الأبطال حمل أولئك الشجعان الجالسون على جيش جرجير من ورائه حتى يخالطوا فسطاطه فأرجو من الله النصر فقبل ابن أبى سرح مشورته وقال له كن أنت الأمير على أولئك المنتخبين فقال نعم فلما اشتد القتال حمل ابن الزبير بأصحابه حتى وصل فسطاط الملك جرجير فقتله وأخذ ابنته سبية وقتل أكثر جيشه وفرّ الباقون فكتب ابن أبى سرح بالفتح والبشارة إلى عثمان وأرسل ابن الزبير بشيراً بذلك ، وقاتل عن عثمان لما حُوصر وحضر وقعة الجمل مع عائشة وكان البشير الذى بشرها بأنه لم يمت عشرة آلاف ثم اعتزل حروب على ومعاوية فلما بويع معاوية بالخلافة سنة أربعين بايعه ابن الزبير فلما أراد أن يبايع لابنه يزيد امتنع من ذلك ابن الزبير فلما مات معاوية لحق بمكة وتعوّذ بالحرم فأرسل يزيد جيشا للحجاز من أهل الشام فكانت وقعة الحرّة على أهل المدينة وفتك فيها أهل الشام فتكا ذريعا ، ثم ذهبوا إلى ابن الزبير بمكة فحاصروه بها مدة ورموا الكعبة بالمنجنيق ، ثم جاءهم الخبر بوفاة يزيد ابن معاوية فصالحوا ابن الزبير وذهبوا إلى بلادهم بعد أن راودوه على الذهاب معهم ليبايعوه بالخلافة فأبى عليهم وبايعه جميع الأمصار بالخلافة بعد موت يزيد إلا أهل الأردن فإنهم بايعوا مروان بن الحكم ، ثم غلب مروان على بقية الشام ثم على مصر وبقى تحت أمر ابن الزبير الحجاز واليمن والعراق ثم مات مروان وتولى ولده عبد الملك فغلب على العراق وقتل مصعب بن الزبير ثم جهز

الحجاجَ فى جيش إلى ابن الزبير فحاصروه بمكة ونصبوا المجانيق على أبى قُبَيس وقعيقعان يرمون بها أهل مكة فقاتل الشاميين قتالا شديداً حتى تفرق عنه أصحابه وأخذوا الأمان فبقى وحيدا مدة ودخل المسجد وجلس يصلى يوما فرمى أهل الشام الكعبة بالمنجنيق وهم يقولون :

خطارة مثل الفَنِيقِ المُزْبد   يرمى بها عُوّاذَ أهل المسجد

فلما رأى ذلك ابن الزبير خرج إليهم بسيفه وقاتلهم قتالا شديداً حتى جفَلوا من قدّامه مثل النعام فناداه الحجاج ويلك يا ابن الزبير اُقبل الأمان وأُدخل فى طاعة أمير المؤمنين يعنى عبد الملك فرجع ودخل على أمه أسماء بنت أبى بكر وكانت إذ ذاك عمياء عمرها مائة سنة فقال لها ما تأمرينى به فإن القوم قد أعطونى الأمان قالت أرى أن تموت كريما ولا تتبع فاسقا لئيما وأن يكون آخر نهارك أكرم من أوله ، قال أخشى أن يمثلوا بى بعد الموت قالت إن الكبش إذا ذبح لا يضره السلخ فقبل رأسها وودعها وضمته إلى نفسها فخرج من عندها فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إن الموت قد تغشاكم سحابه وأحدق بكم ربابه واجتمع بعد تفرق وأرجحنَّ بعد تمش ورجس نحوكم رعده وهو مفرغ عليكم ودقه وقاد إليكم البلايا تتبعها المنايا فاجعلوا السيوف لها غرضا واستعينوا عليها بالصبر ثم اقتحم يقاتل وهو يقول :

قد سن أصحابك ضرب الأعناق   وقامت الحرب لها على ساق

وحمل يقاتل وحده حتى أخرجهم من المسجد وخاض فى وسطهم إلى أن بلغ الحجون وكلما اجتمعوا عليه فرّقهم وذادهم حتى أثخن بالجراحات وجاءه حجر من المنجنيق فأصابه فى جبهته فسقط فبادر إليه أهل الشام فقطعوا رأسه وكان حين يحمل عليهم فيهزمهم يقول ياله فتحا لو كان معى رجال أو كان أخى

مصعب حيًا وكانت وفاته سنة ثلاث وسبعين من الهجرة و بويع بالخلافة سنة أربع وستين ، وكان الإمام مالك رضى الله عنه يقول ابن الزبير أحق بالخلافة من مروان وابنه والعلماء قاطبة على أنهما باغيان على ابن الزبير .

عبد الله بن خازم

السلمى أبو صالح أحد الشجعان المشهورين والفرسان المعدودين وأحد أغربة العرب السود وهم عنترة وسُليك المقانب فى الجاهلية وخُفَاف بن نُدْبَة وعبد الله بن خازم فى الإسلام ولقبوا بالأغربة لسواد ألوانهم لأن أمهاتهم جوار حبشيات وخُفاف بن ندبة من بنى سليم أيضاً ومن الشجعان المشهورين أيضا وهو المعنى بقول العباس بن مرداس .

أبا خراشة أما أنت ذا نفر   فإن قومى لم تأكلهم الضبع

حضر عبد الله بن خازم فتح خراسان وسجستان وحضر وقعة قارن بباذغيس فاشتد القتال فقاتل قتالا شديدا وحامى عن الناس فولاه ابن عامر على خراسان ، وكان ابن عامر أميراً على العراق والمشرق كله من قِبل معاوية وكان يوماً عند عبيد الله بن زياد إذ دخل جراد أبيض فتعجب منه عبد الله وقال لابن خازم هل رأيت يا أبا صالح أعجب من هذا ونظر إليه فإذا ابن خازم قد تضاءل واصفر لونه وفزع فقال ابن زياد أبو صالح يعصى الرحمن ويتهاون بالسلطان ويقبض على الثعبان ويمشى إلى الليث يلقى الرماح بنحره وقد اعتراه من جراد ماترون أشهد أن الله على كل شىء قدير ومكث عشر سنين أميراً على خراسان لابن الزبير ولم يبايع مروان ولا ابنه ولما بلغه مسير مصعب ابن الزبير لقتال عبد الملك بن مروان قال أمعه عمر بن مَعْمَر القرشى فقيل له إنه

أمير على فارس ، قال أمه المهلب قالوا إنه مشغول بحرب الخوارج ، قال أمه عبّاد ابن الحصين قالوا إنه أمير على البصرة قال وأنا بخراسان وأنشد :

خذيني فجريني جهارا وأبشري   بلحم امرىء لم يشهد اليوم ناصره

يعنى بذلك مصعباً متأسفاً على عدم حضوره هو والذين ذكرهم مع مصعب لينصروه ولما قتل عبد الملك عبد الله بن الزبير أرسل إلى ابن خازم يطلب مبايعته ويترك له خراج خراسان سبع سنين فأبى و بقى على طاعة ابن الزبير فكتب عبد الملك إلى بكير بن وشاح التميمى بولاية خراسان إن هو خلع طاعة ابن الزبير ورغّبه بالمطامع وكان بكير هذا عاملا لابن خازم على مَرْو فخلع بكير وبنو تميم وأكثر أهل خراسان طاعة ابن الزبير وبايعوا عبد الملك بن مروان واجتمعوا على حرب ابن خازم وكان فى عدد قليل فاقتتلوا فقتل عبد الله بن خازم قتله بحير الصريمى وآخران معه من بنى تميم وكان قبل الواقعة أرسل عياله وأثقاله إلى حصن ترمذ مع ابنه موسى بن خازم فلما قتل ملك ابنه حصن ترمذ وجلس فيه خمس عشرة سنة مستقلا لم يبايع بنى أمية ، وكان يغزو منه الأمم المجاورة له من الترك والصُّغْد وغيرهم فيثخن فيهم ويُنكيهم مع كونه فى عدد قليل وتغزوه عمال بنى أمية بخراسان فى جيوش العرب فيهزمهم وربما اجتمعت عليه ملوك الترك والصُّغد وجيوش العرب وحاصروه فى حصنه فكان يخرج إلى العرب فى النهار فيقاتلهم ويقاتل الترك بالليل ، وخرج ليلة إلى جموع الترك والصغد فبيّتهم فهزمهم وفض جموعهم فلما أصبح خرج إلى العرب فلما رأوا الترك انفضوا صالحوه وانصرفوا ولا زال هذا دأبه حتى اجتمعت عليه جموع العرب سنة خمس وثمانين مع الترك فى جيش عظيم وحصروه فقال لأصحابه أخرجوا بنا مستميتين واقصدوا الترك ولا تقاتلوا العرب إلا إذا قاتلوكم وحملوا على الترك وصدقوهم القتال فانهزم طرخون ملكهم

وانفضوا وحالت الصُّغد والعرب بينه وبين الحصن فقاتلهم قتالا شديدا فعقروا فرسه فسقط وقتلوه رحمه الله بعد استقلاله فى ترمذ خمس عشرة سنة . قال الشيخ العطار لو أبقوه فى حصنه ليكون سدا بينهم وبين طوائف الأمم المجاورة له لكان خيراً لهم وللاسلام فقد فجعوا الاسلام بقتله كما فجعوه بقتل قتيبة بن مسلم الباهلى فانى أظن أنه لم يأت فى صدر الاسلام عند قيام الدولة الأموية مثلهما يعرف ذلك من نظر وقائعهما وحربهما اهـ .

وسئل المهلب عن شجعان زمانه فقال عمر بن عبيد الله بن معمر القرشى وعباد بن الحصين الحَبَطى وعمير بن الحباب السلمى وقَطَرِى بن الفجاءة فقيل له أين ابن الزبير وعبد الله بن خازم فقال إنما سألتمونى عن الإنس ولم تسألونى عن الجن .

مالك بن الحارث

النخعى الملقب بالأشتر من كبار التابعين أحد الفرسان المعدودين بطل كبير وضيغم زئير كان رأس قومه وحامل رايتهم فى فتوح الشام وله آثار فيها سطرها له التاريخ روى عن عمر وخالد بن الوليد وأبى ذر وعلى بن أبى طالب وصحبه وشهد معه الجمل ، وكان على ميمنة الجيش وهاشم بن عتبة المر قال على ميسرته وحمل أصحاب طلحة على أصحاب على فكشفوهم فقال على للأشتر احمل فحمل فكشف من بازائه من أصحاب طلحة وقال لهاشم بن عتبة احمل فحمل فكشف من بازائه فقال على لأصحابه كيف رأيتم ميسرتى وميمنتى وقال عبد الله ابن الزبير التقيت مع الأشتر يوم الجمل فما ضربته ضربة حتى ضربنى خمسة أو ستة ثم جرَّ برجلى فألقانى فى الخندق وقال لولا قربك من رسول الله ما اجتمع فيك عضو إلى آخر وكذلك فى صفين وأظهر فيها شجاعة عظيمة وحمل برايته حينما قُتل عمار بن ياسر حتى وصل سرادق معاوية وكشف الذين حوله من أهل

الشام حتى ألجأهم إلى رفع المصاحف على الرماح والدعاية إلى التحكيم وولاه علىٌّ على مصر بعد صرف قيس بن سعد بن عُبادة عنها فلما وصل إلى القلزم شرب شربة عسل فمات فقيل إنها مسمومة ، وكان ذلك سنة ثمان وثلاثين وهو القائل يهدد معاوية رضى الله عنه .

عدِمْتُ وفْرِى وانحرفت عن العُلى — ولقيت أضيافى بوجه عبوس
إن لم أشن على ابن هند غارة — لم تخل يوما من ذهاب نفوس

وكان ابنه إبراهيم بن الأشتر من الفرسان المشهورين أيضا قاد جيش المختار بن أبى عبيد الثقفى وأخذ بثأر الحسين وهو الذى قتل عبيد الله بن زياد وأباد أكثر جند الشام وقتل مع مصعب بن الزبير وقد كان مصعب ولاه الحرب حينما زحف إليه عبد الملك بن مروان ، وكان عبد الملك كاتب رؤساء العراق ومن جملتهم إبراهيم بن الأشتر يدعوهم إلى بيعته وخلع طاعة ابن الزبير فبايعوه كلهم سرًّا إلا ابن الأشتر ، وقد كان عبد الملك قال له فى كتابه إليه إن بايعتنى أهدر لك دماء أهل الشام التى أصبتها وأجعل لك أعنة الخيل فلم يقبل ووفى لابن الزبير ونصح مصعبا وحذره من أهل العراق وقال اقتل رؤساءهم فانهم بايعوا عبد الملك قبل أن يفسدوا عليك العامة ويخذلوك فأبى فقال له أحبسهم فأبى مصعب أيضاً وأمر إبراهيم أن يزحف فى مقدمته إلى عبد الملك فزحف فى عدد قليل فلما التقى مع عبد الملك أرسل إلى مصعب يستمده فأرسل له عتاب ابن ورقاء الرياحى فى جيش فغضب وتأنف وقال يمدنى بعتاب وأمثاله الذين بايعوا عبد الملك والله ليجرّن علينا الهزيمة فلما التقوا انهزم عتاب وأكثر الجيش عن ابن الأشتر وأسلموه فحمل على أهل الشام مستميتا وأنكى فيهم حتى قتل وأسلم العراقيون مصعبا بعده أيضا وتركوه وابنه فقاتل أيضاً مستميتا بعد أن بذل له عبد الملك الأمان فلم يقبل حتى قتل هو وابنه .

عمر بن عبيد الله بن معمر

القرشي التيمى من عشيرة أبى بكر رضى الله عنه من التابعين ليث الغاب ، بلاٌ رواح سلاَّب أنكى الخوارج فى دولة عبد الملك بن مروان وطأطأت له رقاب الشجعان وكان صاحبُ الترجمة والمهلبُ بن أبى صفرة الأزدى ممن اعترف لهم بالفروسية شجعانُ الخوارج « والفضل ما شهدت به الأعداء » وكان الخوارج الأزارقة أصحاب نافع بن الأزرق قد عاثوا فى الأرض فساداً وكفَّروا الناس وقتلوا النساء والأطفال فى العراق وذلك فى خلافه عبد الله بن الزبير وعبد الملك ابن مروان فظهروا وجبوا خراج قُرى العراق وكادوا يستولون على البصرة والكوفة فوُلىَ المهلب حربهم فهزمهم وأثخن فيهم وأقصاهم عن المدن والقرى ثم جاء مصعب بن الزبير أميراً على العراق من قبل أخيه عبد الله واحتاج إلى المهلب فصرفه عن الحرب وولاه الموصل ليكون بينه و بين عبد الملك بن مروان واستشار رؤساء البصرة فيمن يوليّه حربَ الخوارج فقال قوم وَلِّ عبيد الله بن أبى بكرة وقال فريق ولِّ عمر بن عبيد الله بن معمر وقال قوم ليس لهم إلا المهلب فأمَّر مصعب صاحبَ الترجمة و بلغت المشورة الخوارج فتذكروا فقال لهم قَطَرى ابن الفجاءة أميرهم إن جاءكم عبيد الله بن أبى بكرة أتاكم سيد سمح جواد كريم مضيِّع لعسكره و إن جاءكم عمر بن عبيد الله أتاكم شجاع بطل فارس جادٌّ يقاتل لدينه وملكه بطبيعة لم أر مثلها لأحد فقد شهدته فى وقائع مانودى فى القوم لحرب إلاّ كان أول فارس يطلع حتى يشد على قِرنه فيضربَه وإن رَدَّ إليكم المهلب فهو مَن قد عرفتموه إن أخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر يمده إذا أرسلتموه ويرسله إذا مددتموه لا يبدؤكم إلا أن تبدؤه إلا أن يرى فرصة فينتهزها فهو الليث المبرِرُ والثعلب الرواغ والبلاء المقيم فلما بلغ المهلبَ أن مصعباً ولى عمر بن عبيد الله على حرب الخوارج قال رماهم بفارس العرب وفتاها فزحف

إليهم عمر وقاتلهم وألحّ عليهم حتى أخرجهم من فارس وألحقهم بأصفهان ، ثم أتوا سابور وجمعوا له وأعدوا واستعدوا فسار إليهم حتى نزل على أربعة فراسخ منهم فقال له مالك بن حسان الأزدى إن المهلب كان يذكى العيون ويخاف البيات ويرتقب الغفلة وهو على أبعد من هذه المسافة منهم فقال له عمر اسكت خلع الله قلبك أتراك تموت قبل أجلك فأقام هناك فبيّته الخوارج ليلة فخرج إليهم وحاربهم حتى أصبح فلم يظفروا منه بشىء فقال لمالك بن حسان كيف رأيت قال قد سلَّم الله ولم يكونوا يطمعون فى المهلب بمثل هذا فقال أما إنكم لو ناصحتمونى مناصحتكم المهلب لرجوت أن أنفى هذا العدو ولكنكم تقولون قرشى حجازى بعيد الدار خَيْرُه لغيرنا فتقاتلون معى تعذيرا ثم زحف إلى الخوارج فى غير ذلك اليوم فقاتلهم قتالا شديداً حتى ألجأهم إلى قنطرة فتكاثف الناس عليها حتى سقطت فأقام حتى أصلحها ثم عبروا وقدم ابنه عبيد الله وراء الخوارج فقاتلهم حتى قتل فقال قطرى للخوارج لا تقاتلوا عمر اليوم فإنه موتور ولم يعلم عمر بقتل ابنه حتى وصل إلى الجيش فناداهم أين ابنى فقالوا احتسبه فقد استشهد رحمه الله صابراً مقبلا غير مدبر فقال إنا لله وإنا إليه راجعون ثم حمل على الناس حملة لم ير مثلها وحمل أصحابه بحملته فقتلوا فى حملتهم تسعين رجلا من الخوارج ووصل إلى قطرى فضربه على جبينه ففلقه ونجا قطرى وانهزمت الخوارج وحوى ما عندهم من الذخائر فلما استقروا قال لهم قطرى أما أشرت عليكم بالانصراف فخرجوا من فارس وجمعوا جمعاً آخر وعادوا إلى أرّجان فسار إليهم عمر وكتب إلى مصعب . أما بعد فإنى قد لقيت الأزارقة فرزق الله عبيد الله ابنى الشهادة ووهب له السعادة ورزقنا الله عليهم الظفر فتفرقوا شذرمذر وبلغنى عنهم عودة فيممتهم وبالله أستعين وعليه أتوكل فسار إليهم فالتقوا فالح عليهم حتى أثخن فيهم وأنفرد من أصحابه فعمد له أربعة عشر رجلا من شجعانهم وفى يده عمود فجعل لا يضرب رجلا منهم ضربة إلاّ صرعه فركب إليه قطرى

على فرس طِمِرٍّ وكان عمر على مهر فاستعلاه قطرى بقوة فرسه حتى كاد يصرعه فحمل مُجَّاعة بن سِعْر السعدى التميمى من أصحابه على قطرى فصاحت الخوارج بقطرى يا أبا نعامة أن عدوّ الله قد رَهَقَك فانحط قطرى عن قربوسه فطعنه مجاعة وعلى قطرى درعان فهتكهما وأسرع السنان فى رأس قطرى فكشط عنه جلده ونجا ثم ارتحلوا إلى أصفهان ورجعوا إلى الأهواز ثم رد ابن الزبير المهلب إلى حرب الخوارج وولى عمر بن عبيد الله على فارس إلى أن ملك عبد الملك بن مروان العراق من ابن الزبير وقتل أخاه مصعبا وخرج على عبد الملك من الخوارج أبو فُديك فغلب على البحرين وما حولها فعين عبد الملك صاحب الترجمة لحرب أبى فُدَيك وأرسل معه عشرة آلاف من أهل الكوفة والبصرة فسار إليه وأهل الكوفة فى ميمنته وعليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله. وأهل البصرة فى ميسرته وعليهم عمر بن موسى أخوه وهو فى القلب فانتهوا إلى البحرين واصطفوا للقتال وحملوا على أبى فُديك وأصحابه فهزموهم واستباحوا عسكرهم وقتلوا أبا فُديك وحصروا أصحابه بحصن المشقّر حتى نزلوا على الحكم فقتل منهم ستة آلاف وأسر ثمانمائة وذلك سنة سبعين وقد ولى ولايات متعددة وشهد مع عبد الرحمن ابن سمُرَة فتح كابل وهو صاحب الثغرة وكان قاتل عليها طول الليل حتى أصبح وله مناقب عظيمة وكان أحد أجواد العرب وأنجادها وقد مدحه العجاج بأرجوزته المشهورة (قد جبر الدين الإله فجبر).

وفيها يقول :

لقد سما ابن معمر حين اعتمر مغزى بعيداً من بعيد وصبر

وغيره من الشعراء وكان سبب موته أن ابن أخيه عمر بن موسى خرج مع ابن الأشعث على الحجاج فأخذه الحجاج فبلغ ذلك عمه عمر وهو بالمدينة فخرج إلى الشام لعبد الملك يشفع فيه فلما بلغ موضعا يقال له ضُمَيْر بينه وبين

دمشق خمسة عشر ميلا بلغه أن الحجاج ضرب عنق ابن أخيه فمات كمدا عليه فقال الفرزدق يرثيه .

يا أيها الناس لا تبكوا على أحد بعد الذى فى ضُمَيْرٍ وافق القدر

وذلك سنة اثنتين وثمانين وقيل مات بالطاعون وصلى عليه عبد الملك ابن مروان ومشى فى جنازته وحضر دفنه وأثنى عليه بعد موته رحمه الله .

المهلب بن أبى صفرة

الأزدى الشجاع المشهور أحد الدهاة كان فارسا بطلا فقيها حليما شريفا فى قومه ولد عام الفتح فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره وأبوه من الصحابة تقدم لنا شيء من خبره فى ترجمة عمر بن معمر فى ذكر الخوارج وكان أهل البصرة حينما عاثت الخوارج الأزارقة فى الأرض وقتلوا بعض القواد وهزموا بعضا فزعوا إلى الأحنف بن قيس سيد بنى تميم فأتى بهم إلى الحارث قُبَاع عامل البصرة فقالوا له إن هذا العدو قد غَلَبَنَا على سَوادنا وفيئنا وما بقى إلا أن يَحْصُرَنا فى بلدنا حتى نموت هَزْلاً فقال لهم اختاروا رجلا فقال الأحنف ماأرى لهم إلا المهلب فقال القباع اذهبوا واتفقوا على رجل وائتونى غدا فذهبوا واتفقوا على المهلَّب بعد اختلاف . فوجه الحارث إليه فأتاه فقال له القُباع يا أبا سعيد قد ترى ما رَهِقَنا من هذا العدو وقد اجتمع أهل مِصْرك عليك وقال المهلب لا حول ولا قوة إلا بالله إنى عند نفسى لدون ما وصفتم ولست آبيا ما دعوتم إليه على شروط أشترطها فقال الأحنف قل فقال على أن أنتخب من أحببتُ قال ذلك لك قال ولى إمرة كل بلد أغلب عليه قال وذاك لك . قال ولى فَيْء كل بلد أظفر به قال الأحنف ليس ذلك لك ولا لنا إنما هو فىء المسلمين . فإن سلبتهم إياه كنت عليهم كعدوّهم ولكن لك أن تعطى أصحابك من فىء كل بلد تغلب عليه ما شئت وتنفق على محاربة عدوِّك فما فضل عنكم كان للمسلمين قال المهلب فمن لى بذلك ؟ قال نحن وأميرك وجماعة أهل مِصْرك

قال قد قبلت فكتبوا بذلك كتاباً ووضع على يدى الصلت بن حريث ثم انتخب المهلب اثنى عشر ألفا من الجند ونظروا مافى بيت المال فلم يكن إلا مائتى ألف درهم فعجزت فبعث المهلب إلى التجار أن تجارتكم مُذ حَوْلٍ قد كسدت عليكم بانقطاع مواد الأهواز وفارس عنكم فهلم فبايعونى واخرجوا معى أوفِّكم حقكم إن شاء الله فتاجَرُوه فأخذ من المال ما يصلح به عسكره واستعد بالآلات وضرب الركب من الحديد وهو أول من ضربها من الحديد ثم نهض إليهم وأكثر أصحابه رَجّالة فعبر إليهم فى السفن وقدم ابنه المغيرة أمامه فلما قاربوا الشاطىء خاضت إليهم الخوارج فحاربهم المغيرة بالنبل حتى تَنَحَّوا وجاء أبوه فأمر بعقد الجسر فعبر هو وجنده والخوارج منهزمون فنهاهم عن أتباعهم فأقام أربعين يوما يجبى الخراج بكُوَر دَجلة ثم وفى التجار حقوقهم وأعطى أصحابه فأسرع الناس إليه رغبة فى الجهاد والعطاء ثم زحف إليهم ثانياً وهم بنهر تِيرَى فتنحوا عنه إلى الأهواز فأقام يجبى خراج من حوله من الكورودَسّ الجواسيس إلى عسكر الخوارج فأتوه بأخبارهم ومَنْ فى عسكرهم وإذا هم حُشْوَة ما بين صباغ و قَصّار وداعِر وحَدّاد فخطب أصحابه وذكر لهم لفيف الخوارج وقال لهم أمثل هؤلاء يغلبونكم على فيئكم فلم يزل مقيما حتى قهرهم وأحكم أمره وكثر عنده الفرسان وتتامّ إليه زُهاء عشرين ألفا فمضى يؤُمُّ سوق الأهواز وأرسل ابنه المغيرة فى مقدمته فحاربته الخوارج يومهم وانكشف عنه بعض أصحابه وثبت المغيرة وغاداهم الحرب فى ثانى يومه فإذا هم قد حرقوا أثقالهم وهربوا من الأهواز فدخلها وجاءت أوائل خيل أبيه فأقام بسوق الأهواز وكتب إلى القُبَاع بالفتح وكان المهلب يبث الأحراسَ فى الأمن كما يبثهم فى الخوف ويُذكى العيونَ فى الأمصار كما يذكيها فى الصحارى ويأمر أصحابه بالتحرز ويخوفهم البَيَاتَ وإن بَعِد منهم العدو ويقول احذروا أن تكادوا كما تَكيدون ولا تقولوا غَلَبْنا وهَزَمْنا فإن القوم خائفون والضرورة تفتح باب الحيلة ثم التقى معهم المهلب (بسُولاَف) موضع وجعل على بنى تميم

الْحَرِيشَ بنُ هِلَال فحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحابه فقتله فحمل عليه المهلب وطعنه فقتله ومال الخوارج بأجمعهم على العسكر فانهزم الناس وقتلوا سبعين رجلا وثبت المهلب وأبلى المغيرة ابنه يومئذ بلاء حسناً وحمى المهلب أدبار المنهزمين وحال الليل بينهم وبات فى ألفين من أصحابه فلما أصبح رجع إليه بعض المنهزمين فصار فى أربعة آلاف فخطبهم وقال :

والله ما بكم من قلة وما ذهب عنكم إلا أهل الجبن والطَّمع والطَّبَع وإن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله فسيروا إلى عدوكم على بركة الله فقال له الحَرِيشُ بنُ هِلال لا تقاتلهم إلا أن يقاتلوك فإن بأصحابك جراحاً وقد أثخنتهم هذه الجولة فقبل منه ومضى المهلب فى عشرة من أصحابه حتى أشرف على عسكر الخوارج فلم ير منهم أحدا يتحرك فارتحل فعبر دُجَيْلاً واستراح بالناس ثلاثة أيام فقال ابن قيس الرُّقَيَّات فى ذلك .

أَلاَ طَرَقَتْ مِنْ آل بَيْبَةَ طَارقه ... على أنها مَعْشُوقَةُ الدَّلِّ عَاشِقَهْ
تَبيتُ وأَرضُ السُّوسِ بينى وبينها ... وسُولاَفُ رُسْتَاقٌ حَمَتْهُ الأَزَارِقه
إذا نَحْنُ شِئْنا صَادفتنا عِصَابةٌ ... حَرُورِيَّةٌ أضْحَتْ من الدين مارقة
أجازَتْ إلينا العَسكَرَيْن كليْهما ... فباتت لنا دون اللحافِ مُعانقه

ثم زحف إليهم فى اليوم الرابع وهم بِسِلّى وَسِلَّبْرَى [1] اسمى موضعين فنزل قريبا منهم فقال لهم أميرهم ابن الماحوز ماتنتظرون بعدوكم وقد هزمتموهم بالأمس وكسرتم حَدَّهم ؟ فخرج مائتان منهم إلى عسكر المهلب فحَزَرُوهم ورجعُوا وأمر المهلب أصحابه بالتَحارُس حتى إذا أصبح ركب إليهم على تعبئة صحيحة فالتقوا وتصافُّوا فخرج منهم مائة فارس فركزوا رماحهم بين الصفين واتكئُوا عليها فأخرج إليهم المهلب أمثالهم ففعلوا مثل مافعلوا لا يَرِيمون إلا للصلاة حتى أمسوا فرجع كل قوم إلى معسكرهم ففعلوا هذا ثلاثة أيام ،

(١) ضبطهما الأخفش بفتح السين فيهما. وهما موضعان بالأهواز. وبسلى: موضع بالبادية .

ثم إن الخوارج تطاردوا لهم فى اليوم الثالث فحمل عليهم هؤلاء الفرسان يجولون ساعة ثم طعن خارجى رجلا من أصحاب المهلب فحمل عليه المهلب فطعنه فحمل الخوارج بأجمعهم كما صنعوا يوم سُولاف فضَعْضَعُوا الناس وَفُقِدَ المهلب وثبت المغيرة فى جمع أكثرهم من أهل عُمان ثم نجم المهلب فى مائة فارس وقد انغمست كفاه فى الدم وعلى رأسه قَلَنْسُوة مُرَبعة فوق المِغْفَر محشُوة قَزًّا وحَشْوُها يتطاير وهو يلهث وذلك فى الظهيرة فلم يزل يحاربهم إلى الليل حتى كثر القتل فى الفريقين وغاداهم ثانى يوم وهو فى ثلاثة آلاف فقال لأصحابه مابكم من قلة أيَعْجِزُ أحدُكم أن يرمىَ برمحه ثم يتقدم فيأخذه ؟ ففعل ذلك رجل من كِندة يقال له « عياش » وقال لهم أعدوا مَخَالِىَ فيها الحجارة وارموا بها فى وقت الغفلة فإنها تَصُد الفارس وتَصْرَع الراجل ففعلوا وأمر منادياً فى أصحابه يأمرهم بالجد والصبر ويطمعهم فى العدو وحمل فحملوا معه فاقتتلوا قتالاً شديدا وجُهِدَ الخوارج فنادى مناديهم ألا إن المهلب قد قتل فركب المهلب بِرْذَوْنًا وأقبل يركض بين الصفين وهو يصيح أنا المهلب فسكن الناس بعد أن ارتاعوا وظنوا أن أميرهم قد قتل وَكلَّ الناسُ مع العصر فصاح المهلب بابنه المغيرة تقدم ففعل ونادى مولاه ذَكْوانَ أن قَدِّم رايتك ففعل واجتلدوا أشد جلاد حتى إذا كان مع المساء قتل أمير الخوارج ابن الماحوز فانهزموا وساروا إلى أَرَّجان ولم يشعر المهلب بذلك وبات فى عسكره يأمرهم بالاحتراس وأرسل جماعة يكشفون أمر الخوارج فرجعوا إليه وأخبروه بارتحالهم فقال إن هؤلاء الخوارج قد يئسوا منكم إلا من جهة البيات فإن كان ذلك فاجعلوا شعاركم (حم لا ينصرون) فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بها ثم غدا على القتلى فوجد فيهم أمير الخوارج وقال شاعر من الخوارج فى هذه الوقعة يرثى من قتل منهم :

بِسِلَّى وسِلَّبْرَى مَصارِعُ فِتْيةٍ ... كرامٍ وجَرْحَى لَم تَوَسَّدْ خُدُودُها[1]

---

(١) وقال آخر :

بسلى وسلبرى مصارع فتيـــة ... كرام وعقرى من كُمَيْتٍ ومن ورد

واجتمعت الخوارج بأرّجان و بايعوا أميراً آخر وهو الزبير بن على من بنى سليط بن يربوع فخطبهم وشجعهم وتحملوا لمحاربة المهلب فنفحهم نفحة فرجعوا وأكمنوا للمهلب مائة فى غمض من غموض الأرض ليقاتلوه قريبا من عسكره فخرج المهلب يطوف على عسكره و يتفقده فوقف على جبل فقال إن من التدبير لهذه المارقة أن تكون قد أكمنت فى سفح هذا الجبل كمينا فبعث عشرةَ فوارس فاطلعوا على المائة فلما علموا أنهم قد علموا بهم قطعوا القنطرة ونجوا وكسفت الشمس فصاحوا بهم ياأعداء الله لو قامت القيامة لجدَدْنا فى جهادكم فيئسوا من المهلب فذهبوا إلى ناحية أَصْبهان ثم كروا راجعين إلى أرّجان وقد جمعوا جمعا عظيما ، وكان المهلب يقول كأنى بهم وقد جمعوا لكم جموعا فلا ترهبوهم فَتَخْبُثَ قلوبكمُ ولا تغْفَلُوا الاحتراس فيطمعوا فيكم فجاءوه من أرّجان فألفوْه مستعدا آخذا بأفواه الطرق فحاربوه فظهر عليهم ظهوراً بينا فقال شاعر تميمى من بنى رياح بن يربوع :

سَقَى اللهُ المهلَّبَ كُلَّ غَيْثٍ ... مِنَ الوَسْمِيِّ يَنْثَجِرُ انثِجارَا
فما وَهَن المهلَّب يَوْم جَاءتْ ... عوابسُ خيلهم تَبغِى الغِوَارا

وقال المهلب يومئذ ماوقعتُ فى أمر ضيق من الحرب إلا رأيت أمامى رجالا من بنى الهُجَيْم بن عمرو بن تميم يجالدون وكأنّ لحاهم أذنابُ العَقَاعِق وكانوا صَبَرُوا معه فى غير موطن وحمل يومئذ الحريش بن هلال التميمى على قَيْس الإِكاف ، وكان قيْس من أشجع فرسان الخوارج فطعنه فدَقّ صُلْبه وقال :

قيس الإِكافِ غَدَاةَ الرَّوْع يَعْلَمُنى ... ثَبْتَ المَقَام إذا لاقَيْتُ أقرانى

ثم ولى مصعب بن الزبير المهلب على الموصل وصرفه عن حرب الخوارج وولاها عمر بن عبيد الله بن معمر كما تقدم ثم اضطربت بعد ذلك الأمور واختلفت الأمراء على العراق وطمع فيه الخوارج إلى أن جاء الحجاج أميراً عليه من قِبَلِ عبد الملك فخطب أهل العراق ووبخهم على عدم مناصحتهم الأمراء

وأمرهم باللحاق بالمهلب ليقاتلوا الخوارج وهددهم بالقتل وقال كل من تأخر بعد ثلاثة أيام ضربت عنقه فهرعوا إلى المهلب حتى كثروا عند المهلب فقال المهلب اليوم قوتل هذا العدو ثم زحف إليهم وهم بسابور وكتب الحجاج إلى المهلب أما بعد فإنه بلغنى أنك أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو وإنى وليتك وأنا أرى مكان عبدالله بن حكيم المجاشعى وعَبّاد بن حصين الحَبَطى واخْترتك وأَنت من أَهل عُمان ثم رجل من الأزد فالقهم يوم كذا فى مكان كذا وإلا أَشْرَعْتُ إليك صدر الرمح والسلام . فكتب إليه المهلب ورد على كتابك تزعم أنى أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدوِّ ومن عجز عن جباية الخراج فهو عن قتال العدوِّ أعجز وزعمت أنك وليتنى وأنت ترى مكان عبدالله بن حكيم وعَبّاد بن حصَين ولو وليتهما لكانا مستحقين لذلك فى فضلهما وغَنائهما وبطشهما وأُخترتنى وأنا رجل من الأزد ولعمرى إن شراً من الأزد لقبيلة تُنازعها ثلاثُ قبائل لم تستقر فى واحدة منهن وزعمت أنى إن لم ألقهم فى يوم كذا فى مكان كذا أشرَعْتَ إلىَّ صدر الرمح فلو فعلت لقلبتُ إليك ظهر المِجنِّ والسلام . ثم واقعهم المهلب فانتصر عليهم فبيتوا بنى تميم من جيشه ليلة وعُبيدة بن هلال من شجعانهم يقول :

أنِى لَمُذكٍ للشُّرَاةِ نارَها ومانعٌ ممن أتاها دارَها
وغاسِلٌ بالطعن عنها عارَها

فوجدوا بنى تميم أيقاظا متحارسين فخرج إليهم الحرِيشُ بن هلال فارسهم وهو يقول :

لقد وجَدْتم وُقُراً أَنْجادَا لا كُشُفاً مِيلاً ولا أَوْغادا
هيهات لا تُلْفُونَنَا رُقَّادا لا بَلْ إذا صِيحَ بنا آسَادا

فحمل عليهم فرجعوا عنه فاتبعهم وصاح بهم إلى أين يا كلاب النار فقالوا إنما أعدت النار لك ولأصحابك . فقال كل مملوك لى حر إن لم تدخلوا النار :

وعَنَى المهلب بقوله للحجاج (قبيلة تُنازعها ثلاث قبائل) قبيلة الحجاج فإنه

مختلَفٌ فى نسبهم قيل هم بقية من ثمود قوم صالح وقيل من بنى إياد بن نزار وقيل هم من قَيْس عَيْلان بن مضر وهو المشهور ، والشُراة لقب للخوارج لاشترائهم الجنة بالجهاد فى الـكفار فى زعمهم، وأرسل الحجاج الجرَّاحَ بن عبدالله الحـكمى إلى المهلب يستبطئه فى مناجزة القوم وكتب معه . أما بعد فإنك جبيت الخراج بالعِلل وتحصنت بالخنادق وطاولت القوم وأنت أعز ناصرا وأكثر عدداً وما أظن بك مع هذا معصية ولا جبنا ولـكنك اتخذتَ أكْلاً ، وكان بقاؤهم أيسرَ عليك من قتالهم فناجِزْهم وإلا أنـكرْتَنِي والسلام . فقال المهلب للجراح ياأباعقبة والله ماتركت حيلة إلاأحتلتها ولا مكيدة إلاأعملتها وماالعجب من إبطاء النصر وتراخى الظفر ولـكن العجب أن يكون الرأى لمن يملـكه دون من يُبْصِره ، ثم ناهضهم ثلاثة أيام يغاديهم القتال ولا يزالون كذلك إلى العصر وينصرف أصحابه وبهم قَرْح وبالخوارج قَرْح وقتل فقال له الجرَّاح قد أعْذَرْتَ فـكتب إلى الحجاج أتانى كتابك تستبطئنى فى لقاء القوم على أنك لا تظن بى معصية ولا جبنا وقد عاتبتنى معاتبة الجبان وأوعدتنى وعيد العاصى فاسأل الجرّاح والسلام فقدم الجرّاح فقـــال له الحجاج كيف رأيت المهلَّبْ؟ فقال والله ما رأيت أيها الأمير مثله قط ولا ظننت أن أحدا يبقى على مثل ما هو عليه ولقد شهدت أصحابه أياما ثلاثة يغدون إلى الحرب ثم ينصرفون عنها وهم بها يتطاعنون بالرماح ويتجالدون بالسيوف ويتخابَطُون بالعَمَد ثم يروحون كأن لم يصنعوا شيئا رَواح قوم تلك عادتهم وتجارتهم فقال الحجاج لشد ما مدحته أبا عُقبة قال الحق أولى ثم أرسل الحجاج أيضاً إلى المهلب رجلين يستحثانه المناجزة أحدهما ثَقفَى[1] والآخر يقال له زياد ابن عبد الرحمن العامرى[2] فضم المهلب زياداً إلى ابنه حَبيب والثقفى إلى ابنه يزيد وقال لهما خُذا يَزيدَ وحبيبا بالمناجزة فغادوا الخوارج فاقتتلوا أشد قتال فقُتل زِياد رسول الحجاج وفُقد الثقفى ، ثم باكَرُوهم فى اليوم الثانى وقد وُجِد

---

(١) من آل أبى عقيل جد الحجاج . (٢) من بنى عامر بن صعصعة .

الثقفى فدعا به المهلب ودعا بالغَداء فجعل النَّبل يقع قريبا منهم والثقفى يعجب من أمر المهلب فقال الصَّلَتَان العَبْدِى فى ذلك .

ألا يا اصْبَحَانِى قبل عَوْق العوائِق　　وقبلَ اخْتراطِ القوم مثل العَقَائق (١)

غَدَاةَ حَبِيبٌ فى الحديد يَقُودُنا　　نَخُوضُ المنايا فى ظِلال الخوافِق

حَرونٌ إذا ما الحرْب طَارَ شَرارُها　　وهَاج عَجاجُ الحرب فوق البَوارق

فَمَنْ مبلغُ الحجَّاج أنَّ أمينه　　زياداً أطاحَتْه رِماحُ الأزارق

ثم وجه الحجاج أيضا للمهلب رجلين (٢) يستحثانه فقال المهلب متمثلا فى الحجاج .

ومستعجب مما يَرَى مِنْ أَناتنا　　ولو زَبَنَتْهُ الحرب لم يَتَرَمْرَم (٣)

وأمر ابنه يزيد أن يحركهم فحركهم فتهايجوا فحمل خارجى على رجل من أصحاب المهلب فشْك فخذه بالسَّرْج فقال المهلب لرسول الحجاج كيف نقاتل قوما هذا طعنهم وجاء « الرُّقَّاد » وهو من فرسانه وبه نيف وعشرون طعنة وحمل عليهم يزيد فانهزموا وحامى فارسان فقال يزيد لقيس الخُشَنِيِّ مَنْ لهذين ؟ قال أنا فحمل عليهما فعطف عليه أحدهما فطعنه قيس فصرعهُ وحمل عليه الآخر فعانقه فسقطا جميعا إلى الأرض فصاح قيس اقتلونا جميعا فحملت خيل هؤلاء وخيل هؤلاء فحجزوا بينهما فاذا معانقهُ امرأة فقام قيس مستحييا فقال له يزيد أما أنت فبارزتها على أنها رجل فقال أرأيت لو قُتِلتُ أما يقال قتلته امرأةٌ وأبلى ابن المُنْجِب السَّدُوسى يومئذ فقال له غلامه خِلاج وددنا والله أنا فضضنا عسكرهم حتى أصير إلى مستقرهم فاستلب جاريتين مما هنالك فقال مولاه وكيف تمنيت اثنتين قال لأعطيك واحدة وآخذ الأخرى فقال ابن المنجب فى ذلك :

أَخِلاَجُ إنك لَنْ تُعانِقَ طَفْلَةً　　شَرِقًا بها الجَادِيُّ كالتِمثَالِ (٤)

---

(١) العقائق : السيوف : جمع عقيقة . يقال سيف كأنه عقيقة برق أى كأنه لمعة برق . (٢) أحدهما من « كلب » والآخر من « سليم » . (٣) الشعر لأوس ابن حجر . زبنته : دفعته يترمرم : يتحرك .. (٤) طفلة : ناعمة الجادى: الزعفران.

حتى تُلاقِىَ فى الكتيبة مُعْلماً　　عَمْرَوَ الْقنَا وعُبَيدةَ بنَ هلال (١)
وتَرى الْمَقْعطَرَ فى الكتيبة مُقْدَما　　فى عُصْبةٍ قَسَطُوا مَع الضُّلَّال (٢)
أَوْ أَنْ يُعَلِّمكَ المهلب غَزْوَةً　　وتَرَى جِبالاً قد دَنَتْ لجبالِ

وهؤلاء المذكورون فى الشعر من شجعان الخوارج ، وكان المهلب يقول لبنيه لا تبدءوهم بقتال حتى يبدءوكم فيبغوا عليكم فانهم إذا بغوا نصرتم عليهم وكانت الخوارج تسمى المهلب الساحر لأنهم كلما دبروا حيلة أو مكيدة يكيدونه بها يجدونه سبقهم إلى ذلك وكان أولاده كلهم شجعانا وهم المغيرة ويزيد وحَبيب ومُدرِك والمفضَّل وغيرهم وأكبرهم وأعقلهم المغيرة وأجودهم يزيد ودسّ المهلب إلى الخوارج من سألهم أسئلة فاختلفوا فى الجواب وكفر بعضهم بعضا وخلع قَطريًّا أكثرُهم وبايعوا غيره فاقتتلوا مع بعضهم بعضا حتى قتل منهم كثير واستأصل المهلب بقيتهم وقطع دابرهم بعد أن حاربوا المسلمين نحو ثلاث عشرة سنة ، وذلك مدة خلافة عبد الله ابن الزبير وسنين من خلافة عبد الملك بن مروان وأرسل بشيراً إلى الحجاج ، وكان فصيحا شاعراً فقال له الحجاج أخبرنى عن بنى المهلب قال المغيرةُ فارسُهم وسيدهم وكفى بيزيد فارسا شجاعا وجوادُهم وسخِيُّهم قُبيصة .

ولا يستحى الشجاع أن يفر من مدرِك ، وعبد الملك سمٌّ ناقع وحبيب موت زُعاف ومحمد ليث غاب وكفاك بالمفضل نَجْدة قال فكيف خلفت جماعة الناس قال تركتهم بخير قد أدركوا ما أملوا وأمنوا ماخافوا قال فكيف كان بنو المهلب فيكم قال كانوا حماة السَّرْح نهاراً فإذا أَلْيَلُوا ففُرْسان البيات قال فأيهم كان أنجد ؟ قال كانوا كالحلقة المُفرَغة لا يُدرى أينَ طرَفُها قال

(١) الكتيبه : الجيش ، المعلم : الذى شهر نفسه فى الحرب بعلامة ، عمرو القنا : ابن بنى سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعبيدة بن هلال من بنى يشكر بن بكر بن وائل

(٢) المقعطر : من بنى عبد القيس ، قسطوا : جاروا .

فكيف كنتم أنتم وعدوكم قال كنا إذا أخذنا عفونا وإذا أخذوا يئسنا منهم وإذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم فقال الحجاج ان العاقبة للمتقين قال فكيف كان لكم المهلب وكنتم له قال كان لنا منه شفقة الوالد وله منا بر الولد قال فكيف اغتباط الناس قال قد فشا فيهم الأمن وشملهم النفل قال الحجاج هكذا تكون والله الرجال المهلب أعلم بك حيث وجهك ثم كتب الحجاج إلى المهلب أن استعمل شهما من أولادك على كرمان وأقدم على فاستعمل ابنه يزيد وقدم العراق فأجلسه الحجاج إلى جانبه وأظهر إكرامه وبره وقال يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب ثم قال الحجاج للمهلب أنت والله كما قال لقيط الأيادى :

وقلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا(١)
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه هم يكاد حشاه يقصم الضلعا
لا مترفا إن رخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به خشعا
مازال يحلب هذا الدهر أشطره يكون متبعا طورا ومتبعا
حتى استمرت على شزر مريرته مستحكم الرأي لا فحما ولا ضرعا(٢)

هذا آخر ما أردت جمعه من تاريخ بعض مشاهير الشجعان تذكرة لشباب العصر الرافلين فى حلل المدنية والفخر .

والله أعلم

(١) رحب الذراع : واسع الصدر .
(٢) يقال «شزرت الحبل إذا كررت فتله بعد استحكامه راجعا عليه . والمريرة: الحبل وهذا مثل . والقحم آخر سن الشيخ ، والضرع محركا : الصغير الضعيف .

مباحث الرسالة

بعض مشاهير شجعان الجاهلية

تمت